جماليات الترابط
في قصص سورة الكهف

الدكتور: علي بن محمد الحمود

* بكالوريوس في اللغة العربية من كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤٠٩هـ.

- ماجستير في النقد العربي من قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي من الكلية نفسها عام ١٤١٩هـ.
- دكتوراه في النقد الأدبي ومنهج الأدب الإسلامي من الكلية نفسها عام ١٤٢٣هـ.
- يعمل الآن أستاذاً مساعداً في قسم اللغات في كلية الملك عبد العزيز الحربية.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فعنوان هذه الدراسة هو (جماليات الترابط في قصص سورة الكهف)، وأردت من خلالها الوقوف على الخصائص المشتركة التي جمعت بين قصص سورة الكهف الأربع، وجعلتها نسيجاً واحداً من حيث وحدة الموضوع ووحدة المقصد ووحدة الشعور والجو النفسي ووحدة المنهج.

لقد كانت السمة الغالبة على سورة الكهف غلبة العنصر القصصي الذي يستغرق إحدى وسبعين آية من آياتها البالغة عشر آيات ومائة، حيث اشتملت على أربع قصص، هي: قصة أصحاب الكهف والرقيم (الآيات: ٩ – ٢٧)، وقصة صاحب الجنتين (الآيات: ٣٢– ٤٤)، وقصة موسى– عليه السلام – مع العبد الصالح (الآيات: ٦٠ – ٨٢)، وقصة ذي القرنين (الآيات: ٨٣ – ٩٨). وهذه القصص

الأربع "هي معالم هذه السورة وعمدها، وأقطابها الأربعة التي يدور حولها حكمها وتعاليمها ومواعظها"[1].

وهناك مجموعة من الأسئلة تبادرت إلى ذهني، ودفعتني إلى البحث في هذا الموضوع، منها : ما الجوانب المشتركة بين هذه القصص؟ ولماذا جاءت في سورة واحدة؟ وما صلتها بفتنة الدجال؟ ولماذا جاء الحث على حفظها وقراءتها يوم الجمعة[2]؟ وغيرها من الأسئلة التي تثار حول هذه القصص.

إن هذه القصص الأربع لم تذكر في القرآن الكريم إلا في سورة الكهف، كما أن وجودها في سورة واحدة له أسباب وحكم، قد نعلم بعضها، ونجهل بعضها الآخر: إذ يظل العلم البشري قاصراً عن الإحاطة بقدرة الخالق- عز وجل-.

ومن هذا المنطلق رأيت- وبعد التوكل على الله تعالى- دراسة جماليات الترابط في قصص سورة الكهف؟ محاولاً إبراز الجوانب المشتركة بين قصص السورة الأربع التي جعلتها تبدو نسيجاً واحدا، على الرغم من أنها تحدثت عن أمم وأقوام عاشوا في مراحل زمنية ومكانية متباعدة، وعاشوا حياة مختلفة، وتعرضوا لمواقف مختلفة: لكن جاءت قصصهم الأربع في سورة واحدة، وارتبطت بعضها ببعض ارتباطاً وثيقاً، تجمعها وحدة الموضوع ووحدة المقصد ووحدة الشعور والجو العام ووحدة المنهج (المعالجة الفنية).

ويعد الفن القصصي وسيلة من وسائل القرآن الكريم المتعددة، وإنه لفخر كبير لهذا الفن "أن يعتمده القرآن الكريم وسيلة للدعوة إلى الله، وسلاحاً لنضال خصوم الإسلام، وأن يتخذه الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه أداة للتوجيه والإرشاد"[3].

---

[1] المدخل إلى الدراسات القرآنية، أبو الحسن الندوي: ١١٧.

[2]) ينظر: الأحاديث والآثار الواردة في فضائل سور القرآن الكريم. د . إبراهيم علي السيد عيسى: ٢٥٩-٢٧٤

[3] نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد. د. عبد الرحمن رأفت الباشا: ١٨٤.

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن دراسة القصص القرآني الكريم لا يراد بها- بأي صورة من الصور- إخضاع القصة القرآنية لمقاييس القصة البشرية، فشتان ما بين القصتين: فالقصة القرآنية من إبداع الخالق- عز وجل-، أما القصة البشرية فمن صنع البشر، وهي قابلة للتحول، وشتان ما بين الأمرين. إن المراد من مثل هذه الدراسة، بالإضافة إلى إبراز بعض جوانب الإعجاز في القصة القرآنية، حث كتاب القصة المسلمين على تمثل ذلك القصص؛ لأنه معين لا ينضب من القيم الموضوعية والجمالية، حتى ننقي قصتنا المعاصرة مما أصابها من ضعف وترهل؛ بسبب تقليدها النماذج السيئة من القصص الغربي، وبذلك أضحى كثير من نماذجها مسخاً وصورة ممجوجة لذلك القصص الذي يعبر عن مجتمعات تختلف عن مجتمعنا الإسلامي.

إن هذه الدراسة تهدف، فيما تهدف إليه، إلى بيان الجوانب المشتركة بين قصص سورة الكهف الأربع التي جعلتها نسيجاً واحداً متكاملاً مترابطاً بصورة معجزة، حيث تعمل كل قصة من القصص الأربع على تحقيق غاياتها العقدية والتربوية بصورة فنية مبدعة، وتأتي القصة التالية لها لترسخ المفاهيم والقيم وتؤكدها، فإذا ما فرغنا من قراءة السورة وقصصها الأربع نعجب أشد الإعجاب بذلك البيان المعجز الذي جعلنا نحلق في آفاق مختلفة، ونقلنا في رحلة ماتعة شائقة إلى عوالم مختلفة، وكل ذلك جاء بأسلوب قرآني معجز من حيث موضوعه وطرق عرضه.

وتبعاً لهذا الهدف هناك أهداف أخرى، منها: الدعوة إلى الوقوف عند موضوعات القصص القرآني، والوعي بجمالياتها، وتذوقها تذوقا فنيا واعيا: فالقصص القرآني يعد النموذج الفريد المعجز للقصة من خلال براعته في المواءمة بين تحقيق المقاصد الدينية ومطالب الفن، فهو يساق لتحقيق غايات عقدية وتربوية بأسلوب معجز، ومنهج متفرد، وقد وصفه الله تعالى بأنه أحسن القصص، حيث قال – عز من قائل-:

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾[1].

ويضاف إلى ذلك حرصي على تقديم مجموعة من الدراسات في القصة القرآنية[2] تسهم- مع غيرها من الدراسات- في إبراز بعض الجوانب الفنية المعجزة في القصة القرآنية، وتكون حافزا لقيام قصة إسلامية تستمد أصولها الفنية والموضوعية من القصص القرآني، حتى تعبر عن مجتمعنا المسلم، وتكون وسيلة إصلاح وبناء، لا وسيلة هدم. فالقصة "فن إسلامي أصيل: لأنها أسلوب من أساليب القرآن الكريم، ولنا نحن المسلمين وليس لغيرنا أن نبدع فيه بالطريقة التي تلائم تصورنا ومجتمعاتنا ومستقبلنا[3].
وقد جاءت هذه الدراسة في مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة وفهرس للمصادر والمراجع.
تحدثت في التمهيد عن: سورة الكهف (فضلها، وسبب نزولها، وقصصها).

وفي المبحث الأول تحدثت عن وحدة الموضوع في قصص سورة الكهف، وفي المبحث الثاني تحدثت عن وحدة المقصد. وفي المبحث الثالث تحدثت عن وحدة الشعور والجو النفسي. وفي المبحث الرابع تحدثت عن وحدة المنهج (المعالجة الفنية).
وختمت الدراسة بخاتمة أوجزت فيها أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

---

[1] سورة يوسف، الآية: ٣.

[2] هذه الدراسة الثانية التي أقدمها في هذا الجانب، حيث سبق أن قدمت دراسة عنوانها (الرؤية في القصة القرآنية)، وقد قبلت للنشر في مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بعد تحكيمها، وستنشر في أحد الأعداد القادمة للمجلة، بإذن الله تعالى.

[3] في القصة الإسلامية المعاصرة. محمد حسن بريغش: ١٤.

وذيلت الدراسة بفهرس لأهم المصادر والمراجع التي أعانتني- بعد الله تعالى على إتمام هذه الدراسة، راجياً الله تعالى أن يوفقني في تحقيق ما أصبو إليه، وأن يجنبني الزلل، إنه سميع مجيب.

التمهيد:

سورة الكهف: (فضلها، وسبب نزولها، وقصصها):

سورة الكهف "مكية في قول المفسرين جميعهم. وروي عن فرقة أن أول السورة نزل بالمدينة إلى قوله جرزاً، والأول أصح[1].

وقد وردت أحاديث كثيرة في فضلها، وعصمتها من فتنة الدجال، والحث على حفظها وقراءتها، وبخاصة يوم الجمعة، منها قول الرسول- عليه الصلاة والسلام: "من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال، وفي رواية من آخر الكهف[2].

وقوله- عليه الصلاة والسلام- : "من قرأ سورة الكهف كما أنزلت كانت له نوراً يوم القيامة من مقامه إلى مكة، ومن قرأ عشر آيات من آخرها ثم خرج الدجال لم يسلط عليه ..."[3]. ووجهنا الرسول- عليه الصلاة والسلام- في حديث آخر إلى قراءة فواتح سورة الكهف في حال ظهور الدجال، حيث قال: ... فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف[4].

---

[1] الجامع لأحكام القرآن. القرطبي: ١٠/١٤٦. (بتصرف)

[2] شرح صحيح مسلم. الإمام النووي: راجعه الشيخ خليل الميس: ٦/٣٤٠، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف، رقم الحديث (٨٠٩).

[3] أخرجه الحاكم في المستدرك، في كتاب فضائل القرآن، باب فضيلة سورة الكهف: ١/٥٦٤.

[4] شرح صحيح مسلم للإمام النووي: ١٨/٢٧٨، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، رقم الحديث (٢١٣٧).

وروي في فضلها أنه كان رجل يقرأ سورة الكهف، وإلى جانبه حصان مربوط (بشطنين)[١]، فتغشته سحابة، فجعلت تدنو وتدنو، وجعل فرسه ينفر، فلما أصبح أتى النبي- عليه الصلاة والسلام- فذكر ذلك له، فقال: تلك السكينة تنزلت بالقرآن[٢].

وجاء في فضل قراءتها يوم الجمعة عدة أحاديث، منها قول الرسول- عليه الصلاة والسلام-: "من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين[٣]. وغيره من الأحاديث النبوية الشريفة والآثار التي تظهر فضلها، وتحث على قراءتها وحفظها[٤].

وجاء في سبب نزولها: أن كفار قريش أرادوا اختبار رسول الله- عليه الصلاة والسلام- فذهب بعضهم إلى أحبار يهود في المدينة، فسألوهم عنه- عليه الصلاة والسلام -، فقالوا لهم: سلوه عن ثلاث نأمركم بهن، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل فالرجل متقول، فروا فيه رأيكم؛ سلوا عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم؟ فإنه قد كان لهم حديث عجب، وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه، وسلوه عن الروح ما هي؟ فإذا أخبركم فاتبعوه، فإنه نبي، وان لم يفعل، فهو رجل متقول، فاصنعوا في أمره ما بدا لكم[٥].

فجاؤوا رسول الله- عليه الصلاة والسلام-، وسألوه عنها، فقال لهم: "أخبركم بما سألتم غداً، ولم (يستثن)[٦]، فانصرفوا عنه، فمكث عنه رسول الله- عليه الصلاة والسلام- فيما يذكرون- خمس عشرة ليلة لا يحدث الله إليه في ذلك وحياً، ولا يأتيه جبريل، حتى أرجف أهل مكة، وقالوا : وعدنا محمد غداً، واليوم خمس عشرة ليلة، قد أصبحنا منها

[١] الشطن: الحبل، قيل الحبل الطويل الشديد الفتل، ينظر: لسان العرب: مادة (ش ط ن).

[٢] صحيح البخاري: تحقيق الشيخ عبد العزيز بن باز: ١٢٧/٦، كتاب فضائل القرآن، باب فضل سورة الكهف، رقم الحديث (٥٠١١).

[٣] أخرجه الحاكم في المستدرك، في كتاب التفسير، باب تفسير سورة الكهف: ٣٦٨/٢.

[٤] للتوسع ينظر: الأحاديث والآثار الواردة في فضائل سور القرآن الكريم. د. إبراهيم علي السيد عيسى: ٢٥٩-٢٧٤.

[٥] السيرة النبوية. ابن هشام المعافري: ٢٢٠/١.

[٦] لم يستثن: لم يقل إن شاء الله تعالى.

لا يخبرنا بشيء مما سألناه عنه، وحتى أحزن رسول الله- عليه الصلاة والسلام- مكث الوحي عنه، وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة؛ ثم جاءه جبريل من الله- عز وجل- بسورة أصحاب الكهف، فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم، وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية، والرجل الطواف...[١].

وإذا كانت هذه الدراسة تتجه إلى دراسة جماليات الترابط في قصص سورة الكهف، فإنها بطبيعة الحال لا تخضع القصص القرآني للمقاييس النقدية البشرية، أو تعقد مقارنة بين القصة القرآنية وغيرها من القصص التي مصدرها البشر، فشتان ما بين المنهجين والقصتين: فالقصص القرآني نسيج وحده، في موضوعه، وفي أسلوبه ونظمه، وفي غاياته ومقاصده. فهو في موضوعه نسيج من الصدق الخالص، وعصارة من الحقيقة المصفاة، لا تشوبه شائبة من وهم أو خيال، إنه بناء شامخ من لبنات الواقع، بلا تزويق ولا تمويه[٢]. أما القصة البشرية فعرضة للتحول والتغير، ويعتريها الضعف والنقص والقصور في كثير من جوانبها الموضوعية والفنية .

وينبغي التأكيد هنا على أن القرآن الكريم يتنزه أن يكون "مجرد قصص، وإنما هي أمثال تضرب للناس ليتخذوا مما يروى لهم عبرة وليهتدوا إلى صراط مستقيم[٣]. فالقصة القرآنية ليست عملاً فنيا خالصا، حتى تخضع لمقاييس البشر: إنما هي قصة "لها طبيعتها الخاصة وبناؤها المتميز، الذي يفرقها عن غيرها من القصص البشرية: انطلاقها من أن القرآن الكريم هو في المقام الأول كتاب دعوة دينية، أخرج الناس من الظلمات إلى النور، فهو كتاب عقيدة وشريعة، ودستور كامل متكامل للحياة البشرية في مختلف جوانبها الروحية والمادية[٤].

---

[١] المرجع السابق: ١/٢٢٠.

[٢] القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور. عبد الكريم الخطيب: ٧.

[٣] السرد القصصي في القرآن الكريم. ثروت أباظة: ٥.

[٤] نظرات في قصص القرآن. محمد قطب عبد العال: ١٢٧.

إن الترابط والتكامل يتحققان في القصص القرآني أحسن ما يكون التحقق؛ إذ تتسم القصة القرآنية بالترابط والإحكام، وتصور حدثا تاما له بداية ووسط ونهاية، وتتحقق فيها وحدة الموضوع ووحدة المقصد ووحدة الشعور والجو النفسي ووحدة المنهج، "وينبغي أن نقرر ابتداء أن القرآن الكريم يجمع أحسن ما يكون الجمع بين الناحيتين الفنية والدينية، وأن الناحية الفنية وسيلة دائماً للناحية الدينية، ويستحيل فصل الواحدة عن الأخرى[1].

ويتسم منهج القصص القرآني بالشمول والتكامل من خلال ملاءمته بين المقاصد العقدية والتربوية وإيفائه بمطالب الفن. فهو منهج متكامل يخاطب الكائن البشري كله: عقله وضميره ووجدانه، يحرك الفكر والخيال، ويلمس الحس والبصيرة، ويثير الانفعال والشعور، فيستغل في الإنسان كل طاقاته ومواهبه، وينفذ إلى صميمه من كل منافذه، ويؤثر فيه بكل المؤثرات[2].

وبذلك كان القصص القرآني معجزة من معجزات القرآن البيانية، وقد وصفه الله تعالى في محكم التنزيل بأنه أحسن القصص، قال تعالى: **﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾**[3].

إن سمة الترابط والتكامل سمة ظاهرة في سور القرآن الكريم؛ إذ نجد أن كل سورة وحدة متكاملة، ذات هدف واحد ووسائل متعددة، وذات شخصية واضحة وسمات مميزة، موضوعاً وتعبيراً، تعالج كل سورة موضوعاً واحداً أو عدة موضوعات، والقصة إحدى وسائلها التي تعالج موضوعها أو موضوعاتها علاجاً فنياً[4].

---

[1] الوحدة الموضوعية في سورة يوسف– عليه السلام–. د. حسن محمد باجودة: ٣٥.

[2] منهج القصة في القرآن. محمد شديد : ١٣.

[3] سورة يوسف، الآية: ٣.

[4] المرجع السابق: ٦١.

وجاءت قصص سورة الكهف الأربع متفقة مع محور السورة المتمثل في ترسيخ العقيدة الصحيحة في النفوس، وبذلك تحقق في السورة الترابط أجمل ما يكون التحقق؛ إذ ارتبطت قصص السورة الأربع بعضها ببعض، وجاءت متفقة مع السياق العام للسورة، فحين نقرأ السورة كاملة من بداياتها إلى نهايتها نعيش في الجو نفسه، ولا نشعر بأي انفصال بين القصص وبقية آيات السورة: وبذلك بدت قصص السورة الأربع جزءاً من ذلك البناء المحكم. وحينما نتلمس جماليات ذلك الترابط نجدها تبرز من خلال الخصائص العامة المشتركة التي تجمع بين تلك القصص، فهي تصور مشاعر متفاوتة لأشخاص مختلفين في عدة جوانب، عاشوا في فترات زمنية متباعدة، وفي أماكن مختلفة، وتعبر عن مواقف مختلفة، .وأحداث متفرقة، ومع ذلك فهي تشترك في الموضوع العام الذي تتناوله، وفي الغاية التي ترمي إلى تحقيقها، وفي الجو العام المسيطر على تلك القصص، وفي المنهج الذي عرضت من خلاله. وهذا الترابط الجمالي في قصص سورة الكهف جعل من سورة الكهف بشقيها: القصصي والتعقيبي نسيجاً واحداً متكاملاً، يعد ذروة الفصاحة والبلاغة، ومنتهى الإعجاز في الناحيتين الموضوعية والجمالية.

وقد عضد ذلك الترابط الجمالي أن الخطاب في سورة الكهف– في الغالب بشقيها : القصصي والتعقيبي كان موجهاً إلى الرسول (ويظهر ذلك من خلال العبارات التالية: (فلعلك باخع نفسك، أم حسبت، نحن نقص عليك، ولا تقولن، قل الله أعلم بعدتهم، واتل ما أوحي إليك، واصبر نفسك، ولا تعدو عيناك عنهم، ولا تطع، واضرب لهم مثلاً، ويسألونك عن ذي القرنين، قل، وغيرها)، فالرسول صلى الله عليه وسلم هو المقصود في كل الأنساق القرآنية، ومواضع التحول والمحطات الكبيرة والصغيرة في طرق الموضوعات، ونشر المعلومات، وصقل التوجيهات، وبيان المقاصد والأغراض[١] .

---

[١] في التذوق الجمالي لسورة الكهف. د. محمد على أبو حمدة: ٧٧.

وفي هذه الدراسة سيكون الحديث عن جماليات الترابط في قصص سورة الكهف من خلال الحديث عن وحدة الموضوع، ووحدة المقصد، ووحدة الشعور والجو النفسي، ووحدة المنهج (المعالجة الفنية) في قصص سورة الكهف الأربع.

أولاً- وحدة الموضوع:

اشتملت سورة الكهف على أربع قصص، هي محور السورة وعمادها، ولم تذكر هذه القصص الأربع في القرآن الكريم إلا مرة واحدة في سورة الكهف.

وقد خضعت هذه السورة لموضوع واحد، يتمثل في الفتن التي ربما يتعرض لها الإنسان في هذه الحياة، فقد تحدثت قصة الفتية أصحاب الكهف عن فتنة الدين، وتحدثت قصة صاحب الجنتين عن فتنة المال، وتحدثت قصة موسى- عليه الصلاة والسلام- عن فتنة العلم، وتحدثت قصة ذي القرنين عن فتنة الملك والسلطان.

ومن خلال تناول هذه القصص الفتن الأربع قدمت الحق في مراحل مختلفة، وقدمت دروساً في طريقة التعامل مع تلك المراحل[١]. ففي قصة أصحاب الكهف والرقيم تظهر صورة الحق في مرحلة من مراحل الصراع، تتمثل في كون الحق مطارداً ضعيفاً، فعندما وجد الفتية أصحاب الكهف أن الكفة مع الطرف الآخر غير متوازنة، وأنهم لن يستطيعوا الوقوف في وجه تلك الفئة الظالمة المعتدية التي بغت عليهم، وأرادت دفعهم إلى الشرك بالله تعالى، لم يكن أمامهم سوى الفرار بدينهم وأنفسهم، فكان اللجوء إلى كهف السلامة هو الحل الأمثل. إن هؤلاء الفتية المؤمنين الموحدين فقدوا فرصة الحوار مع الطرف الآخر، وخافوا على أنفسهم من الفتنة ، فلجأوا إلى الكهف فراراً بدينهم.

[١] ينظر: قطوف تربوية حول القصص القرآني. د. حمدي شعيب: ١١-١٢

وقدمت قصة صاحب الجنتين الحق في صورة تعايشه مع الطرف الآخر، فكان الحوار بين الرجل الغني صاحب الجنتين وصاحبه المؤمن، سبيل الوصول إلى الحق، وتضرب هذه القصة مثلاً للغني المغتر بماله المتكبر بما عنده من عرض الحياة ، وللمؤمن الفقير المعتز بدينه ، القانع بما آتاه الله تعالى، الموقن بقدرته تعالى، الراضي بما قسمه له. والحوار في هذه القصة صورة من صور الحوار بين الإيمان والنزعة المادية.

أما قصة موسى- عليه السلام- مع الرجل الصالح فقدمت الحق في صورة مختلفة: إذ كان الطرفان متفقين في المبدأ: فموسى- عليه السلام- يبحث عن رجل أعلم منه ليتعلم منه، وكان العبد الصالح ذلك الرجل الذي منحه الله تعالى علماً من لدنه. ويتمثل السبب في رحلة موسى- عليه السلام- بحثاً عن العبد الصالح في أنه بعد أن "قام خطيبا في بني إسرائيل، فسئل أي الناس أعلم؟ قال أنا، فعتب الله عليه؛ إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى الله إليه أن لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك..."[1]. وهكذا كان انطلاق موسى- عليه السلام- في رحلته العجيبة الحافلة بالتشويق والمفاجآت التي لم ترد في القرآن الكريم سوى في سورة وأكدت الكهف. وهذه القصة أن العلم البشري المحدود يظل قاصرا عن معرفة كنه الأشياء والأسباب، وأن فوق كل ذي علم عليم، وفيها دعوة إلى ترك أمر الغيب لله تعالى. وتبرز في هذه القصة سمات طالب العلم وأخلاقه المتمثلة في التواضع وبذل الجهد، "فموسى- عليه السلام- مع علو شأنه، لم.يمنعه علوه عن تحمل المشاق في سبيل العلم، دون نظر إلى مكانة من يريد التعلم منه، فموسى نبي الله وكليمه، والخضر ليس بنبي، وإنما هو من أولياء الله الصالحين، ومع ذلك لم يتردد موسى الكليم عن قطع المسافات الشاسعة؛ ليلتقي بالعبد الصالح، ويستفيد من علمه اللدني الذي وهبه الله إياه[2].

[1] تفسير القرآن العظيم. الحافظ ابن كثير: ٩٢/٣.

[2] إيجاز البيان في سور القرآن. . محمد علي الصابوني: ٧٧

وقدمت قصة ذي القرنين ورحلاته الثلاث إلى المغرب والمشرق وبين السدين صورة للحق في مرحلة القوة والتمكين في الأرض، وضربت مثلاً لما ينبغي أن يكون عليه الحاكم العادل من العمل والإخلاص. وقد ذكر الله تعالى ذا القرنين هذا وأثنى عليه بالعدل، وأنه بلغ المشارق والمغارب، وقهر أهلها، وسار فيهم بالمعدلة التامة والسلطان المؤيد المظفر المنصور القاهر المقسط. والصحيح أنه كان ملكاً من الملوك العادلين، وقيل كان نبياً، وقيل رسولاً...[1]

فذو القرنين ممن اختصهم الله- عز وجل- بفضله ورحمته، فسخر ذلك الفضل في خدمة أمته؛ وبذلك مكنه الله تعالى في الأرض. وتبرز في هذه القصة بوضوح سمات القائد الناجح المتمثلة في الإيمان بالله تعالى والعدل والتواضع وإغاثة الملهوف واتباع الأسباب الناجعة المؤدية إلى تحقيق النصر.

وأكدت قصص سورة الكهف الأربع وجوب الإيمان بالغيب والقدر، وأن الإنسان (أي إنسان) تظل مداركه قاصرة عن معرفة كنه الأشياء، وأن ما علمه لا يعدو أن يكون مجرد قطرة في محيط أسرار هذا الكون الفسيح. ودعت إلى التأمل والتفكر والتدبر في ملكوت الله تعالى، والإيمان بأن وراء الأمور الظاهرة المحسوسة التي نطالعها بأعيننا ونستوعبها بعقولنا وتؤمن بها قلوبنا- أشياء نجهلها، وتقصر مداركنا عن استيعابها: لذا كان الإيمان بالله تعالى، والإخلاص في القول والعمل، الطريق الذي يوصل الإنسان إلى النجاة في الدنيا والآخرة، ويحقق الغاية الرئيسة التي من أجلها خلق، وهي عبادة الله تعالى.

ومن خلال تصوير قصص سورة الكهف الحق في مراحل مختلفة تضمنت "أهم أسباب الفتن في الحياة الدنيا، وبينت موقف المؤمن منها، وشرعت له أسباب السلامة والنجاة بأسلوب القصة، فكانت في موضوعها موافقة لاسمها كهف السلامة والأمان[2].

[1] البداية والنهاية: الحافظ ابن كثير: ٢/١٠٣.

[2] العواصم من الفتن في سورة الكهف. عبد الحميد طهماز: ٣٩.

لقد أنعم الله تعالى على الإنسان بنعم عظيمة لا تعد ولا تحصى، فسخر له كل ما في الأرض، قال تعالى. ﴿**إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا**﴾[1]. فهذه الدنيا ليست دار بقاء، بل هي محطة عبور إلى الدار الآخرة، وفي ذلك ابتلاء عظيم، وواجب هذه النعم شكر الله تعالى وحمده وإفراده بالعبادة، وقد بدئت هذه السورة بحمد الله والثناء عليه، قال تعالى:﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا**﴾[2]. وختمت بالأمر بإفراده بالعبادة، والخلوص من الشرك، والإخلاص في القول والعمل، قال تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**﴾[3]. حيث جاء "التعقيب في آخر سورة الكهف منسجما مع موضوعها الأساس، .ومؤكداً ارتباط آيات السورة بعضها ببعض ارتباطا محكما، وشدة انسجامها واتفاقها مع موضوعها"[4](٤). وبذلك اتفقت القصص الأربع من حيث الموضوع الذي قامت عليه مع بداية السورة ونهايتها والتعقيبات التي تخللتها، وبدت نسيجاً واحداً موضوعه الفتن، وغايته تصحيح العقيدة، من خلال حديثه عن أبرز الفتن التي يتعرض لها الإنسان، وإبراز سبل النجاة منها.

لقد تحدثت قصة الفتية أصحاب الكهف والرقيم عن الفتنة في الدين، حيث تعرض هؤلاء الفتية "لأعظم الفتن، وهي الفتنة في الدين؛ إذ حاول قومهم أن يفتنوهم عن دينهم، فقرروا اعتزال قومهم، وهجرة بلدهم وأهلهم"[5]. قال تعالى:

---

[1] سورة الكهف: الآية: ٧.

[2] سورة الكهف، الآية: ١.

[3] سورة الكهف، الآية: ١١٠.

[4] العواصم من الفتن في سورة الكهف. عبد الحميد طهماز: ١٤١.

[5] المرجع السابق: ٥٢.

﴿**وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقًا**﴾[1]. وثبت الفتية "على دينهم، وتمسكوا بعقيدتهم، وواجهوا باطل قومهم وكفرهم بشجاعة وثبات بقوة أمدهم الله بها[2]، قال تعالى: ﴿**وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا**﴾[3]. وكان سبب نجاة هؤلاء الفتية اللجوء إلى الله تعالى والتوكل عليه، فشملهم برعايته وحفظهم من كل مكروه.

وجاءت القصة الثانية من قصص سورة الكهف لتتحدث عن فتنة الإنسان بالمال، وهي "من أعظم الفتن: لأنها تصرف قلبه عن ذكر ربه إلى ماله وشهواته... فشر أحوال الإنسان أن يكون قلبه خالياً عن ذكر الله ممتلئاً بالهوى الداعي إلى الاشتغال بالمال والشهوات"[4].

لقد جسدت هذه القصة فتنة الغنى والفقر من خلال رجلين: رجل مؤمن فقير، ورجل أعطاه الله تعالى مالاً، ولكنه ظلم نفسه وغرته جنته فكفر بنعم ربه، قال تعالى: **وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا *وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا * وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا * قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا**﴾[5].

وفي الجانب الآخر صورت قصة صاحب الجنتين اعتزاز المؤمن بإيمانه، ووقوفه في وجه صاحب المال المغتر بماله، قال تعالى: ﴿**لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ***

[1] سورة ألكهف، !الآية:١٦.

[2] المرجع السابق: ٤٩.

[3] سورة الكهف، الآية: ٦٤.

[4] العواصم من الفتن في سورة الكهف. عبد الحميد طهماز: ٧٠.

[5] سورة الكهف، الآيات: ٣٤-٣٧

وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا * فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا * أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾[١] [الكهف: ٣٨-٤١].

وجاءت قصة موسى- عليه السلام- مع العبد الصالح في سياق سورة الكهف، ومتصلة بموضوعها الرئيس المتمثل في "الاختبار والابتلاء وسبيل العصمة من الفتن وطرق النجاة منها، وفتنة العلم من الفتن الكبرى التي يتعرض لها أهل العلم من علماء ومتعلمين، وقد بين الله سبحانه في قصة موسى والرجل الصالح السبل المنجية من فتنة العلم ببيان الصفات الطيبة التي ينبغي أن يتصف بها العالم والمتعلم[٢]. ومن تلك الصفات إخلاص النية لله ورد العلم إليه، والتواضع، وقد تحقق ذلك في موسى- عليه السلام- وهو من أولي العزم من الرسل، حيث تبع العبد الصالح، وتعلم منه بكل تواضع، وفي هذا إعلاء لقيمة العلم، ورفع منزلة المتعلمين.

لقد رسمت هذه القصة العجيبة لأهل العلم سبل النجاة والسلامة من فتنة العلم، "فالعلم- أولاً- يجب أن يقرب صاحبه من الله تعالى، فلا خير في علم لا يذكر بالله- عز وجل-، ولا يدل عليه سبحانه. وعلى العالم مهما حصل من علوم ألا يغتر بعلمه، فما يجهل من العلوم أكثر مما يعلم، وعليه ألا ينقطع عن طلب العلم والازدياد منه، فإذا انقطع عن طلب العلم، وظن أن عنده من العلم ما يغنيه عن طلب المزيد، فهو جاهل، والعلماء الحقيقيون يحصنون علمهم بطلب المزيد، وإلا نقص علمهم واضمحل وانتهى بهم إلى الجهل... وعلى العالم أن يسخر علمه لينفع به الناس..."[٣].

---

[١] سورة الكهف، الآيات: ٣٨-٤١.

[٢] المرجع السابق: ٩٠.

[٣] العواصم من الفتن في سورة الكهف. عبد الحميد طهماز: ١٠٥-١٠٦.

وفي قصة ذي القرنين تصوير لفتنة الحكم والملك والسلطة، وهي من "أعظم أسباب الفتن بين الناس، فقد جبل الإنسان على حب التملك والتسلط، وتركزت في أعماق نفسه نزعة حب الشهوة والسمعة، وهذا جعل شهوة الحكم والتسلط في نفس الإنسان من أقوى الشهوات"[1].

وذو القرنين مثال للحاكم العادل الذي لم تتملكه شهوة السلطة، بل سخر ما آتاه الله تعالى من فضل وقوة في خدمة مجتمعه وأمته، فبلغ المشرق والمغرب وبين السدين، وسار بالعدل بين الناس، فكانت سيرته في رحلاته الثلاث أنموذجاً حياً لما ينبغي أن يكون عليه الحاكم العادل.

إن الفتن التي تحدثت عنها قصص سورة الكهف الأربع، وهي فتنة الدين والمال والعلم والحكم، كانت محور السورة: إذ أبانت هذه القصص خطر تلك الفتن وسبل الخلاص منها: وبذلك ارتبطت بموضوع واحد، وتكاملت في الوقت ذاته، فقصة موسى- عليه السلام- والعبد الصالح ارتبطت بقصة الفتية أصحاب الكهف والرقيم في ترك أمر الغيب لله تعالى.

وارتبطت قصة موسى- عليه السلام- والعبد الصالح بقصة ذي القرنين، من خلال وجود بعض التشابه بين شخصية العبد الصالح وذي القرنين، فكلاهما "ممن اختصه الله سبحانه وتعالى بشيء من فضله ورحمته، وكان لهما أثر ظاهر في الحياة... والفرق بين الرجلين، فيما اختصهما الله تعالى به، هو أن ما أصاب العبد الصالح من فضل الله، كان علماً لدنيا من عند الله، ارتقى به فوق مستوى العلم البشري، في حين أن ما

[1] المرجع السابق: ١١٣.

أصاب ذا القرنين من علم كان تمكينا له في الأرض، وهداية له إلى الأسباب التي تدعم هذا التمكين...[1].

وبتناول هذه القصص الأربع جوانب مختلفة تتصل بالعقيدة والمال والعلم والسلطة، يتضح اشتمالها على جل الجوانب المتصلة بحياة الإنسان، ومن هنا تظهر الصلة بين قراءة سورة الكهف والعصمة من فتنة الدجال التي تعد من "أعظم الفتن منذ خلق الله آدم إلى قيام الساعة، وذلك بسبب ما يخلق الله معه من الخوارق العظيمة التي تبهر العقول، وتحير الألباب"[2]. وقد أرشدنا الرسول- عليه الصلاة والسلام- إلى أن حفظ آيات من سورة الكهف وقراءتها يعصمان من فتنة الدجال[3]، قال- عليه الصلاة والسلام-: "من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال، وفي رواية من آخر الكهف"[4].

ثانياً: وحدة المقصد:

إن القصة في القرآن الكريم ليست عملاً فنياً خالصاً يساق لمجرد التسلية وتزجية الوقت، إنما هي في المقام الأول ترمي إلى تحقيق غايات ومقاصد عقدية وتربوية، فهي وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة في تحقيق أغراضه الدينية والدنيوية. ويتنزه القرآن الكريم "أن يكون قصصاً، مجرد قصص، وإنما هي أمثال تضرب للناس ليتخذوا مما يروى لهم عبرة، وليهتدوا إلى صراط مستقيم"[5].

[1] القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور. عبد الكريم الخطيب: ٩١.

[2] أشراط الساعة: يوسف عبد الله الوابل: ٣١٣.

[3] ينظر: المرجع السابق: ٣٢٥-٣٣٠.

[4] شرح صحيح مسلم. الإمام النووي : راجعه الشيخ خليل الميس: ٦/ ٣٤٠، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف، رقم الحديث (٨٠٩).

[5] السرد القصصي في القرآن الكريم. ثروت أباظة: ٥.

وتمثل القصص في سورة الكهف وحدة متكاملة تحقق مقصداً واحداً، يتمثل في ترسيخ العقيدة الصحيحة في النفوس من خلال الدعوة إلى إفراد الله تعالى بالعبودية، والخلوص من الشرك.

وقد جاء ترتيب هذه القصص الأربع في السورة خاضعاً إلى اعتبارات مرتبطة بالموضوع ومقاصده، فلا نكاد نفرغ من قصة حتى تأتي قصة أخرى في السياق نفسه، فعالجت هذه القصص على التوالي قضايا دنيوية وأخروية تمس شؤون العقيدة والمال والعلم وشؤون الحكم والسلطان، وبذلك تكون كل قصة من هذه القصص الأربع قد عالجت جانباً مهماً من الجوانب المهمة للإنسان في الدنيا والآخرة: فهي ترمي إلى إخلاص التوحيد لله تعالى، وتصحيح العقيدة، وترك أمر الغيب له، وهي تتفق- أيضاً- مع السياق العام لسورة الكهف التي بدئت بقوله تعالى: ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا**﴾[1]. وختمت بقوله تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**﴾[2]. وبين البداية والنهاية عملت القصص الأربع على تأكيد ذلك المفهوم وترسيخه وتقويته في النفوس. وهذه اللحمة ربطت القصص الأربع بالسورة، وبذلك بدت نسقاً واحداً وبناء مترابط الأجزاء، تجمعه وحدة الموضوع ووحدة المقصد ووحدة الشعور والجو النفسي ووحدة المنهج (المعالجة الفنية).

وسلكت قصص سورة الكهف الأربع في سبيل تحقيق ذلك المقصد الطريقتين: المباشرة وغير المباشرة، وبرز التوجيه المباشر من خلال التعقيبات والتوجيهات في مواضع مختلفة من القصص الأربع، ففي قصة أصحاب الكهف والرقيم نجد التعقيبات والتوجيهات الإلهية على المواقف والأحداث المختلفة في عدة مواضع من القصة، فبعد أن أمر الله تعالى الفتية باعتزال قومهم، أرشدهم إلى الكهف الذي تدخل إليه الشمس بكرة

[1] سورة الكهف، الآية: ١.

[2] سورة الكهف، الآية: ١١٠.

وعشياً، وقد وصف الله تعالى موضعهم في الكهف بقوله: ﴿ **وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ...** ﴾[١]. فالله تعالى أعلمنا بصفة الكهف، ولم يعلمنا بمكانه، فموضعهم في الكهف جعل الشمس تدخل عليهم، ولكنها لا تحرقهم، وكذلك الرياح تدخل عليهم، وبذلك التدبير الرباني ظلوا أحياء في مكانهم تلك المدة الطويلة[٢](٢). وبعد إن وصف الله تعالى حالهم في ذلك الكهف عقب بقوله: ﴿ **ذَلِكَ مِنْ آَيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا** ﴾[٣]. "أي هو الذي أرشد هؤلاء الفتية إلى الهداية من بين قومهم، فإنه من هداه الله فقد اهتدى، ومن أضله فلا هادي له"[٤].

وفي السياق نفسه عقب الله تعالى على الجدل القائم حول عددهم بقوله: ﴿**سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا**﴾[٥]؛ إذ أرشد تعالى إلى ترك أمر الجدل حول عددهم، فهو جدل عقيم لا يخدم الأغراض الدينية والدنيوية التي من أجلها جاءت هذه القصص؛ وهنا توجيه من الله- عز وجل- إلى ترك أمر الجدل العقيم في الأمور التي ليس لها أثر في حياة الناس، ويظل الجدل حولها مضيعة للوقت، وإثارة للفتن والضغائن بين المتجادلين.

ثم جاء التعقيب من الله تعالى على قول رسوله- عليه الصلاة والسلام- لسائليه بأنه سيجيب عن أسئلتهم غداً، دون أن يربط ذلك بمشيئة الله تعالى؛ إذ خاطبه قائلاً:

[١] سورة الكهف، الآية: ١٧.

[٢] ينظر: تفسير القرآن العظيم. الحافظ ابن كثير: ٧٥/٣.

[٣] سورة الكهف، الآية: ١٧.

[٤] المرجع السابق: ٧٥/٣.

[٥] سورة الكهف، الآية: ٢٢.

﴿**وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا * إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا**﴾[1](1). ففي هاتين الآيتين الكريمتين توجيه من الله تعالى وإرشاد لرسوله- عليه الصلاة والسلام- إلى الأدب فيما إذا عزم على شيء ليفعله في المستقبل أن يرد ذلك إلى مشيئة الله- عز وجل- علام الغيوب الذي يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون..."[2].

وفي الموضع نفسه وجه الله تعالى رسوله- عليه الصلاة والسلام- إلى ذكر الله تعالى عند النسيان: "لأن النسيان قد يكون من الشيطان، فذكر الله يطرده عن القلب، فيذكر ما كان قد نسيه"[3]. ووجهه- أيضاً- إلى طلب الهداية والرشاد من الله تعالى في أي حال اشتبه عليه فيها أمر، أو صعبت عليه مسألة.

وفي نهاية القصة أكد الله تعالى على قضية رد العلم إلى الله تعالى علام الغيوب، ووجه رسوله- عليه الصلاة والسلام- إلى تلاوة القرآن الكريم: لأنه الحق الثابت الذي فيه فصل الخطاب لحبر هؤلاء الفتية، فقال تعالى: ﴿ **قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا * وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا**﴾[4].

---

[1] سورة الكهف، الآيتان: ٢٣-٢٤.

[2] تفسير القرآن العظيم. الحافظ ابن كثير: ٨٧/٣.

[3] البداية والنهاية. الحافظ ابن كثير: ١١٧/٢.

[4] سورة الكهف، الآيتان: ٢٦-٢٧.

إن التعقيبات والتوجيهات التي سيقت في عدة مواضع من قصة أصحاب الكهف والرقيم- كانت بمثابة لسان الحال المعبر عن المقصد الذي من أجله سيقت القصة، والمتمثل في ترسيخ العقيدة السليمة في النفوس.

وفي قصة صاحب الجنتين جاء التعقيب في نهاية القصة، فبعد أن تحدثت القصة عن المصير الذي آل إليه صاحب الجنتين المغتر بماله، جاء التعقيب الذي ختم القصة، فقال تعالى: ﴿ **هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا**﴾[١]؛ أي أن كل أحد مؤمن أو كافر يرجع إلى الله، وإلى موالاته والخضوع له إذا وقع العذاب[٢].
كما جاء التعقيب في نهاية القصة مؤكداً أن القوة لله، وأن الملك والسلطان، والمحيا والممات والثواب والعقاب بيده تعالى، وأن النصر من عنده، وهذا كله يندرج ضمن المقصد الرئيس للقصص الأربع وللسورة، وهو إخلاص التوحيد لله تعالى.

وجاء التعقيب في قصة موسى- عليه السلام- مع العبد الصالح في وسط القصة: إذ قال الله تعالى واصفا العبد الصالح: ﴿**فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا**﴾[٣]. ففي الآية السابقة وصف الله تعالى العبد الصالح، وهو الخضر في قول الجمهور[(٤)] بثلاث صفات: أولاها: أنه عبد من عباد الله، وفي هذا تكريم عظيم له. وثانيتها: أن الله تعالى قد منحه رحمة من عنده، وقيل: إن الرحمة هنا، إما النبوة وإما النعمة[٥]. وثالثتها: أن الله تعالى قد خصه بعلم الغيب، فكان علمه "علم معرفة بواطن قد أوحيت إليه، لا تعطى ظواهر الأحكام أفعاله بحسبها، وكان علم

[١] سوره الكهف، الآية: ٤٤.
[٢] تفسير القرآن العظيم. الحافظ ابن كثير: ٣/٨٤.
[٣] سوره الكهف، الآية: ٦٥.
[٤] ينظر: الجامع لأحكام القرآن. القرطبي: ١١/١٦.
[٥] ينظر: المرجع السابق: ١١/١٦.

موسى علم الأحكام والفتيا بظاهر أقوال الناس وأفعالهم[1]. فالله تعالى خص العبد الصالح بعلم لا يعلمه موسى- عليه السلام-، وخص موسى- عليه السلام- بعلم لا يعلمه العبد الصالح.

وهكذا أكدت هذه القصة قصور العلم البشري وعجزه عن فهم كنه الأشياء، حتى لو كان رسولاً من أولي العزم من الرسل: مثل موسى- عليه السلام-، وبهذا تندرج هذه القصة في السياق العام لقصص السورة الأربع، وتحقق المقصد الرئيس الذي ترمي إلى تحقيقه، وهو إخلاص التوحيد لله تعالى، وتصحيح العقيدة، فكل ما جرى وما سيجري في هذا الكون هو من تدبير الله تعالى، وسبيل المؤمن للنجاة والوصول إلى بر الأمان الإيمان الصحيح الخالص من الشوائب.

وفي القصة الرابعة من قصص سورة الكهف، وهي قصة ذي القرنين، جاء التعقيب في بداية القصة؛ إذ أخبرنا تعالى بأنه آتى ذا القرنين القوة والأسباب التي يحتاج إليها لبسط ملكه وسلطانه، قال تعالى: ﴿**إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا * فَأَتْبَعَ سَبَبًا**﴾[2]. قال علي بن أبي طالب- رضي الله عنه: سخر له السحاب، ومدت الأسباب، وبسط له في النور، فكان الليل والنهار عليه سواء[3]. فالله تعالى قد هيأ له الوسائل السليمة التي توصله إلى غاياته النبيلة .

وفي منتصف القصة أشار الله تعالى: إلى علمه وإحاطته بحال ذي القرنين: إذ قال تعالى: ﴿**كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا**﴾[4]؛ أي ونحن نعلم ما هو عليه، ونحفظه ونكلؤه بحراستنا في مسيره ذلك كله من مغارب الأرض إلى مشارقها[5].

[1] المرجع السابق: ١٦/١١.
[2] سورة الكهف، الآيتان: ٨٤-٨٥.
[3] الجامع لأحكام القرآن. القرطبي: ٤٨/١١.
[4] سورة الكهف، الآية: ٩١.
[5] البداية والنهاية. الحافظ ابن كثير: ١٠٨/٢.

وفي نهاية القصة عقب الله تعالى على لسان ذي القرنين الذي أرجع الفضل فيما وصل إليه إلى الله تعالى؛ إذ قال: ﴿ **قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا**﴾[١]. وفي ذلك قمة الأدب من قبل ذي القرنين، فما تحقق من تمكين في الأرض، وبسط للسلطان، لم يكن ليتحقق لولا رحمة الله تعالى وفضله وتوفيقه. وبهذا تندرج هذه القصة في السياق العام لقصص سورة الكهف، وللسورة بصفة عامة؛ إذ تحقق المقصد الرئيس المتمثل في تصحيح العقيدة، وإخلاص الله تعالى بالعبادة.

لقد كان الحديث عن الفتن الخيط الذي جمع بين قصص سورة الكهف الأربع، والمحور الذي دارت حوله، وكانت التعقيبات تتخلل كل قصة من قصص السورة الأربع، وقد جاءت تلك التعقيبات في مواضع مختلفة من القصص، وحققت العبرة التي من أجلها سيقت تلك القصص، فأرشدتنا إلى السبل الناجعة للوقاية من تلك الفتن. ولا يتحقق هذا إلا من خلال تصحيح العقيدة، وإفراد الله تعالى بالعبادة، والخلوص من الشرك.

وبالإضافة إلى التعقيبات والتوجيهات المباشرة التي عملت على تحقيق المقصد الرئيس الذي من أجله سيقت تلك القصص، فقد جاء التوجيه بطريقة غير مباشرة، والمراد بهذا الأسلوب أن يكون التوجيه "بالتعبير عن فكرة لتفهم معها فكرة أخرى، عن طريق اللوازم العقلية القريبة، أو متوسطة القرب، أو البعيدة، أو شديدة البعد، وهذه الفكرة الأخرى إنما يريد المتكلم الإشارة إليها من طرف خفي، ولا يريد التعبير عنها بأسلوب مباشر، لغرض بياني، أو غرض تربوي، أو أي غرض آخر يقصده البلغاء[٢]. فالتوجيه في هذه الطريقة يكون عن طريق ما تثيره الأحداث، والنهاية التي تؤول إليها، واستحضار المواقف المختلفة في النفس، وإنزالها على الواقع المعاش، والأثر الذي تحدثه في النفوس.

[١] سورة الكهف، الآية: ٩٨.

[٢] مبادئ في الأدب و الدعوة. عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: ٨٨.

ويتمثل التوجيه بطريقة غير مباشرة في قصص سورة الكهف من خلال العبر والدروس الكثيرة التي يخرج بها قارئ القصص: إذ عملت هذه القصص الأربع في سياق السورة الكريمة على ترسيخ العقيدة الصحيحة في النفوس، وأكدت مبدأ أن العاقبة للمتقين، ورد العلم والغيب إلى الله تعالى، وأن هناك قوى غيبية تعجز العقول البشرية عن إدراكها. لقد أكدت القصص الأربع هذه المبادئ والقيم الراسخة الصحيحة من خلال عرضها سلسلة من القصص والمشاهد المرتبطة بموضوع واحد، وغاية واحدة ترمي إلى تصحيح العقيدة وتقويتها في النفوس، وهي بذلك تدعو إلى التفكر والنظر في المصير الذي آلت إليه الأحداث، والنهاية الإيجابية التي تحقق فيها النصر للحق وأهله، من خلال استحضارها في النفوس بصورة بديعة معجزة يتواءم فيها الغرض الديني مع مطالب الفن والجمال أحسن ما تكون المواءمة، جعلتها تبدو بصورة ماثلة للعيان قريبة للأذهان مؤثرة في النفوس.

ثالثاً: وحدة الشعور والجو النفسي:

تتجلى وحدة الشعور والجو النفسي في قصص سورة الكهف الأربع من خلال تشابه هذه القصص في الشعور الذي تثيره والجو النفسي المسيطر عليها، فسمات الحركة والإيجابية والتفاؤل والتشويق والإثارة سرت فيها وسيطرت عليها.

لقد كانت الحركة من أبرز السمات المسيطرة على الجو النفسي في قصص سورة الكهف الأربع، والحركة "هي الروح التي تسري في كيان العمل القصصي، وتبعث فيه الحياة، وتجعل بينه وبين الناس تجاذباً وتجاوباً، وإنه بغير الحركة، والحركة المتنوعة الملونة، يفقد العمل القصصي حيويته، ثم حياته، ويتحول إلى كتلة جامدة باردة من الكلمات"[١]

[١] القصص القرآني في منطوقة ومفهومه. عبد الكريم الخطيب: ١١٩.

وتكون الحركة في الفن القصصي مادية من خلال انتقال الشخصيات من مكان إلى آخر، وتدفق حركة الزمن إلى الأمام، وتكون معنوية من خلال ما يجول في داخل الشخصيات القصصية من صراعات وتقلبات واضطرابات تعبر عن طبيعة النفس البشرية، وانتقالها من حال إلى آخر، وتبدل وجهة نظرها تجاه القضايا المختلفة.

والحركة من سمات القصص القرآني الذي "يستخدم الحركة استخداماً لم تستطع اللغة– أي لغة– أن تبلغ شيئاً مما بلغه القرآن في هذا المجال، فحين يدعو القرآن حدثاً من الأحداث إلى اتجاه من الاتجاهات التي يريدها له، فإنما يحركه من أعماقه، فيتجه إلى غايته اتجاه السهم إلى الرمية دون أن يتوقف أو ينحرف. ذلك أن القرآن يمسك به من جميع أطرافه، ويستولي على كيانه كله، فلا تكون هناك خلخلة أو انقسام بين ظاهر الشخصية وباطنها"[1].

وفي قصص سورة الكهف الأربع أضفت الحركة: مادياً ومعنويا، على القصص مزيداً من التشويق: فحركة الشخصيات وانتقالها من مكان إلى آخر كانت سمة ظاهرة في قصص السورة، مثل لجوء الفتية المؤمنين في قصة أصحاب الكهف والرقيم إلى الكهف، قال تعالى: ﴿ **وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقًا**﴾[2]، فهذا الانتقال الذي جاء بأمر الله تعالى من خلال قوله (فأووا) منح القصة حركة مادية ومعنوية. وكذلك نجد الحركة– أيضاً– في الفعلين (بعثناهم، فابعثوا) الواردين في قوله تعالى: ﴿ **وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا**

[1] المصدر السابق. عبد الكريم الخطيب: ١٢١.

[2] سورة الكهف، الآية: ١٦.

لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾[١].

ومثل ذلك الرحلة العجيبة التي صاحب فيها موسى- عليه السلام- العبد الصالح، وقد عبر النص القرآني بالفعل (فانطلقا)[٢] الذي جاء معبراً عن روح القصة المليئة بالحيوية والإثارة والحركة والتشويق.

وفي رحلات ذي القرنين الثلاث التي شملت أمماً مختلفة تبرز حركة الشخصيات من خلال انتقالها إلى مغرب الشمس ومشرقها وبين السدين. ونجد الأحداث تتلاحق من خلال استخدام النص القرآني جملة (أتبع سبباً)[٣] التي صورت حركة ذي القرنين في الأرض من خلال إتباعه الأسباب الناجعة التي أوصلته- بإذن الله تعالى- إلى التمكين في الأرض.

إن ظهور شخصيات جديدة واختفاء أخرى عن مسرح الأحداث من الوسائل التي أضفت على قصص سورة الكهف مزيداً من الحركة والتشويق، مثل: شخصية الفتى والحوت في قصة موسى مع العبد الصالح، حيث غابا عن مسرح الأحداث بعد أن أديا الوظيفة التي من أجلها جاءا في القصة.

ومن هذه الوسائل- أيضاً- التحول السريع المفاجئ الذي يصيب الشخصيات والأحداث، وهو ما يعرف بانعطاف "مباغت للأحداث، وهو اتخاذ مصير الشخصية الرئيسة في الدراما مساراً عكسيا وانقلاب ذلك المصير[٤]. ومثال ذلك ما وقع لصاحب

---

[١] سورة الكهف، الآية: ١٩.

[٢] ينظر: سورة الكهف: الآيات (٧٧,٧٤,٧١).

[٣] ينظر: سورة الكهف: الآيات (٩٢,٨٩,٨٥).

[٤] معجم المصطلحات الأدبية. إبراهيم فتحي: ٨٠.

الجنتين: إذ تحول في لحظة من حال القوة والثراء إلى رجل يقلب كفيه من هول ما أصابه، قال تعالى: ﴿ **وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا**﴾[1].

لقد سرت في قصص سورة الكهف الأربع روح الحركة المادية والمعنوية، مما أضفى عليها مزيدا من الحيوية والتشويق، الأمر الذي يجعل القارئ يتناسى الفترات الزمنية المتروكة، والأحداث الجانبية التي لم يشر إليها النص القرآني الكريم، ويسير مع تدفق الأحداث القصصية؛ بحثاً عن المصير الذي ستؤول إليه الأحداث والشخصيات، والعبر والدروس المستفادة منها.

إن سمة الحركة ظاهرة في قصص السورة الأربع بشكل واضح؛ فالسورة كلها عبارة عن قصص لأناس يتحركون بإيجابية، فأهل الكهف تركوا الأهل والديار وأووا إلى الكهف، والرجل المؤمن في قصة صاحب الجنتين نصح الرجل الكافر بأنعم الله تعالى. ونبي الله موسى- عليه السلام- صاحب العبد الصالح في رحلة عجيبة: طلبا للعلم، وكذلك الأمر مع ذي القرنين في رحلاته الثلاث إلى أقصى الغرب والشرق وبين السدين. وهذا كله يشير إلى أن العواصم من الفتن تكون بالحركة والإيجابية وليست بالسكون والاستسلام والسلبية. ومن اللطيف أن هذه السورة تقرأ يوم الجمعة، وهو يوم راحة عند المسلمين، فبدلا من السكون والخمول في هذا اليوم، جاءت قصص هذه السورة الأربع حاثة الناس على قراءتها؛ للاعتبار بما فيها من حركة وإيجابية وتفاؤل.

وتسري روح الإيجابية والتفاؤل في قصص السورة من خلال انتصار الإيمان بالله على المادية، وجاءت نهاية السورة مؤكدة هذا المعنى ومتفقة مع سياق القصص الأربع؛ إذ

[1] سورة الكهف، الآية: ٤٢.

ختمت السورة بالدعوة إلى العمل الصالح الذي ينجي الإنسان في الآخرة، ويجعله يفوز بجنة عرضها السموات والأرض.

يضاف إلى ذلك اتسام الأشخاص بالإيجابية، فالفتية في قصة أصحاب الكهف لم يرضخوا للضغوط التي مورست عليهم، والمؤمن الفقير في قصة صاحب الجنتين واجه الغني المتكبر بحقيقته دون خوف أو تردد، وبين له قدرة الله تعالى على أن يقضي على جنتيه، وموسى- عليه السلام- خرج باحثاً عن العبد الصالح؛ طلباً للعلم، وقال لفتاه لا أفارقك حتى أبلغ مجمع البحرين، ولو استغرقت تلك الرحلة حقباً من الزمن. والحقب قيل هي السنون، أو ثمانون عاماً، أو سبعون خريفاً، وقيل: إنها زمان مبهم غير محدد[1]. فموسى قرر أن يصل إلى المكان المحدد للقاء العبد الصالح حتى لو استغرقت رحلته تلك المدة الطويلة. وإيجابية موسى عليه السلام- باديه في عدة مواقف من رحلته العجيبة، ومن تلك المواقف إنكاره على العبد الصالح خرق السفينة، فالذي حمله على المبادرة إلى الإنكار ليس الخوف على نفسه من الغرق، فقال للعبد الصالح "أخرقتها لتغرق أهلها، ولم يقل لتغرقنا، فنسي نفسه، واشتغل بغيره في الحالة التي كل أحد يقول: نفسي نفسي، لا يلوي على مال ولا ولد، وتلك حال الغرق، فسبحان من جبل أنبياءه. أصفياءه على نصح الخلق والشفقة عليهم والرأفة بهم، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين"[2].

وتبدو الإيجابية بوضوح في شخصية ذي القرنين في رحلاته الثلاث، حتى تمكن من الوصول إلى مغارب الأرض ومشارقها وبين السدين، وتحقيق الانتصار تلو الأخر: بعد اتباعه الأسباب الصحيحة الموصلة إلى النجاح.

[1] ينظر: الجامع لأحكام القرآن. القرطبي: ١١/١٠-١١.
[2] الكشاف: الزمخشري: ٢/٤٩٢،- مصر؛ مطبعة مصطفى ألبابي الحلبي، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦.

لقد سرت في قصص سورة الكهف الأربع روح الحركة والإيجابية، وطغت عليها سمة التفاؤل، واتسمت أيضا بالتشويق: وبذلك تعمل مجتمعة على إثارة مشاعر المتلقي، وتجذب انتباهه، وتدفعه إلى متابعة حركة الأحداث، وتجعله يشعر بالرضا من المصير الذي آلت إليه.

رابعاً: وحدة المنهج (المعالجة الفنية):
بادئ ذي بدء لابد من تأكيد أن البون بين القصة القرآنية والقصة البشرية من جميع الجوانب- شاسع جداً، ويتمثل في الفرق بين صنع الله تعالى وصنع البشر، وشتان ما بين الأمرين. فالقصة القرآنية لها منهج متميز يحقق الغايات العظيمة، ويحرك الشعور، ويثير الانفعال، ويصور المواقف المختلفة، وكل ذلك بأسلوب بديع معجز، يوائم أحسن ما تكون المواءمة بين الموضوع ومتطلبات الفن. وقد وصلت القصة القرآنية إلى تحقيق غاياتها العقدية والتربوية من خلال منهجها الفني المتميز المعجز الذي يعنى بإبراز الجوانب التي تحقق تلك الغايات، وترك التفاصيل والجزئيات التي لا تثري الموضوع.

ولم يكن اهتمام القصة القرآنية بتحقيق مقاصدها العقدية والتربوية على حساب النواحي الفنية الجمالية، بل إنها واءمت بين الأغراض الدينية والجمال الفني، فجمعت ببراعة بين الفائدة والمتعة، فكانت بحق أحسن القصص: إذ خاطبت العقول والقلوب بأسلوب فني معجز متميز، أقنع العقول، وأثر في القلوب، "ولقد وصلت القصة القرآنية إلى هذا التأثير الوجداني الفعال بطرائق فنية وجمالية خاصة بها..."[1].

ونجد القصص الأربع في سورة الكهف إضافة إلى تحقق الترابط الوطيد بينها من خلال تحقق وحدة الموضوع ووحدة المقصد ووحدة الشعور والجو النفسي فيها، تشترك في

[1] القصة في القرآن (مقاصد الدين وقيم الفن). محمد قطب: ١١٠.

جوانب كثيرة من الجوانب المتصلة بالمنهج الذي اتخذته وسيلة تقديم تلك القصص وعرضها. فوحدة المنهج في قصص سورة الكهف الأربع تتجلى في الخصائص المشتركة التي جمعت بين هذه القصص، فشكلت في مجملها صورة واحدة ونسيجاً واحداً تجمعه وحدة الموضوع ووحدة المقصد ووحدة الشعور والجو النفسي ووحدة المنهج. ومن خلال هذا المبحث سأعرض أبرز تلك الجوانب، وهي: العرض، ورسم الشخصيات، وخلوها من شخصية المرأة، ورسم المكان والزمان، وأحداثها من الخوارق المعجزة، وعنصر المفاجأة .

١ – العرض :

من أبرز الجوانب المتصلة بالمنهج الذي تشترك فيه قصص سورة الكهف الأربع طريقة عرض الأحداث؛ إذ قام العرض فيها على تقديم مشاهد بينها فجوات مسكوت عنها: لأن القصة القرآنية تعمد إلى اختيار المواقف والمشاهد والفترات التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالموضوع، وتحقق المقاصد التي من أجلها سيقت تلك القصص. فمنهج القصة القرآنية في هذا الجانب "أن يختار لقطات حية من الوقائع التاريخية، ولا يثقلها بما هو (تافه) من الجزئيات والتفاصيل التي تصرف الفكر عن التدبر والاعتبار، كما يختار الرسام للمشاهد من !لأشكال والألوان ما يحقق له الانسجام. وإلا فحسبه الصورة الفوتغرافية الآلية"[١].

ويظهر هذا المنهج بوضوح في قصة أصحاب الكهف والرقيم التي بدئت بذكر تمهيد مجمل للقصة، خاطب الله تعالى فيه رسوله– عليه الصلاة والسلام– قائلاً:

﴿ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا * فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا * ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾[٢]. وهذا التمهيد يشوق إلى القصة وينبه إلى ما

[١] سيكولوجية القصة في القرآن. د. التهامي نقرة: ٨٧.

[٢] سورة الكهف، الآيات: ١٠–١٢.

تنطوي عليه من مقاصد القصة القرآنية، ويعالج ما قد يثار حول إحداثها من تشكيك، أو ما قد يثار حول أفكارها من آراء..."[1].

وبعد ذلك التشويق المزيل للشبه جاء سرد القصة معتمداً أسلوب عرض مشاهد منتقاة تحقق المقاصد التي من أجلها سيقت تلك القصة التي قامت على أربعة مشاهد بينها فجوات مسكوت عنها: إذ اكتفت القصة القرآنية بتقديم المشاهد التي تثري القصة: موضوعياً وفنياً، أما الفجوات المتروكة فيعرف ما فيها من السياق العام للقصة.

قدم المشهد الأول الفتية وهم يتحاورون بحثاً عن مخرج من المشركين الذين أرادوا دفعهم إلى الشرك بالله تعالى[2].

ونقلنا المشهد الثاني مباشرة إلى الحديث عن حالهم في الكهف بعد فرارهم بدينهم من هؤلاء القوم، فقدمت القصة مشهدا حسيا معجزا، يتمثل في صورة ذلك الكهف العجيب الذي هيأه الله تعالى لهم[3].

والمشهد الثالث صور حالهم بعد أن بعثهم الله تعالى من نومهم العميق، وسؤالهم عن المدة الزمنية التي قضوها في الكهف، وبعثهم أحدهم إلى المدينة لإحضار الطعام[4].

أما المشهد الرابع والأخير من هذه القصة العجيبة، فتحدث عن حال الناس بعد موت أولئك الفتية بعد تحقق الغاية من بعثهم من نومهم: إذ آمن الناس بما آمن به أولئك الفتية[5]. وفي هذا المشهد يظهر الجدل بين الناس حولهم، وكان الرأي الراجح بناء

[1] البيان القصصي في القرآن الكريم. د. إبراهيم عوضين: ١٢٦.

[2] ينظر: سورة الكهف: ١٣-١٦.

[3] ينظر: سورة الكهف: ١٧-١٨.

[4] ينظر: سورة الكهف: ١٩-٢٠.

[5] ينظر: سورة الكهف: .٢١-٢٢.

مسجد عليهم. كما اختلفوا في عددهم، وجاء التوجيه الصريح من الله تعالى بترك أمر عددهم والمدة التي قضوها في نومهم إلى الله تعالى. "والقصة بهذا التصوير الرائع المثير المعجز، تنقل القارئ إلى جوها الممتد في الزمن السحيق، من أول أن يبدأ العرض، فلا يجد فرصة بعد هذا للانفصال عن هذا الجو، بل يظل في رحلته تلك البعيدة في أعماق الزمن، مبهور الأنفاس، مشدود الأحاسيس، متوتر المشاعر، حتى تنتهي القصة وينسدل الستار"[1].

أما قصة صاحب الجنتين فجاءت في ثلاثة مشاهد، قدم المشهد الأول صورة الجنتين المزدهرتين، قال تعالى: ﴿ **وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا * كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا**﴾[2].

وقدم المشهد الثاني حواراً بين الرجل الفقير المؤمن بالله تعالى، والرجل الغني الكافر بأنعم الله تعالى، الظان أن النعم التي عنده لا يمكن أن تزول، فدعاه الرجل المؤمن إلى العودة إلى الله القادر على كل شي[3].

وفي المشهد الثالث تصوير لمشهد الدمار والفناء الذي أصاب الجنتين، وتصوير صاحبهما الذي أصبح يقلب كفيه حيرة وألماً وندماً من المصير الذي حل بجنتيه، وهو المصير نفسه الذي توقعه الرجل المؤمن في أثناء حواره معه، فأضحت الجنتان أثراً بعد عين، قال تعالى: ﴿**وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ**

---

[1] القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور. عبد الكريم الخطيب: ٦٢.

[2] سورة الكهف، الآيتان: ٣٢-٣٣.

[3] ينظر: سورة الكهف: ٣٤-٤١.

عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا * وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا﴾[1].

احتوت قصة صاحب الجنتين مشاهد رهيبة اتفقت فيها المعطيات مع النتائج التي توقعها الرجل المؤمن، وكانت في النهاية الحتمية التي أصابت صاحب الجنتين دروس عظيمة تسهم في تصحيح العقيدة في النفوس.

أما في قصة موسى– عليه السلام– مع العبد الصالح فقد جاء العرض في عدة مشاهد؛ إذ تمثلت البداية في خروج موسى– عليه السلام– وفتاه إلى مجمع البحرين؛ بحثاً عن العبد الصالح؛ ليتعلم منه[2].

وبعد أن وجد موسى– عليه السلام– العبد الصالح انفرد به في بقية المشاهد التي تشكل في مجملها تلك القصة العجيبة المليئة بالمفاجآت والعبر والحكم. والحلقة الأولى في رحلة موسى– عليه السلام– مع العبد الصالح تمثلت في الاتفاق الذي تم بينهما، والمتمثل في ألا يطلب موسى– عليه السلام– من العبد الصالح أي تفسير للأمور التي يصادفانها في رحلتهما، وقبل موسى– عليه السلام– ذلك الشرط، وعزم على الصبر والطاعة[3].

وكانت الحلقة الثانية أو المشهد الثاني من تلك الرحلة في السفينة التي خرقها العبد الصالح، فاستنكر موسى– عليه السلام– ذلك الأمر، ولكنه اعتذر بعد أن ذكره العبد الصالح بتعهده بترك الأسئلة والصبر على كل ما يصادفهما في رحلتهما، قال تعالى: **﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ**

[1] سورة الكهف، الآيتان: ٤٢–٤٣.

[2] ينظر: سورة الكهف: ٦٠–٦٤.

[3] ينظر: سورة الكهف: ٦٥–٧٠.

شَيْئًا إِمْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾[1].

وتمثلت الحلقة الثالثة في قتل العبد الصالح الغلام، قال تعالى: ﴿ **فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾**[2].

أما الحلقة الرابعة فتمثلت في قيام العبد الصالح بإقامة جدار مائل كان على وشك الانقضاض دون الحصول على أجر، على الرغم من رفض أهل تلك القرية إطعامهما، فما كان من موسى– عليه السلام– إلا أن اعترض على ذلك الفعل الصادر عن العبد الصالح، وهنا قرر العبد الصالح مفارقة موسى– عليه السلام– بعد مخالفته لما تعهد به للمرة الثالثة، وقام العبد الصالح بتفسير ما قام به في المرات الثلاث، وهي أفعال خالف ظاهرها ما لدى موسى– عليه السلام– من علم ومعرفة[3].

قامت قصة موسى– عليه السلام– مع العبد الصالح على أربع حلقات بينها فجوات مسكوت عنها، "ففي مطلع القصة نجد تصميم موسى– عليه السلام– على تحمل كل المشاق في سبيل طلبته التي لا نعلم ما هي قبل لقائه للخضر. وفجأة نجده مع فتاه عند مجمع البحرين، دون أن نعرف الطريق الذي سلكاه، ولا الزمان الذي اختاره لهذه

[1] سورة الكهف، الآيات: ٧١–٧٣.

[2] سورة الكهف، الآيات: ٧٤–٧٦.

[3] ينظر: سورة الكهف: ٧٧–٨٢.

الرحلة الغريبة. ولا شيئاً عما لقياه أثناء ذلك... وهكذا تمضي التجربة مع الخضر وثبا على رؤوس الأحداث، لا تشير إلى الفواصل بين أحدها والآخر إلا بكلمة فانطلقا"[1].

وقام العرض في قصة ذي القرنين على أربعة مشاهد، تحدث المشهد الأول عن شخصية ذي القرنين: إذ قال تعالى: ﴿**إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا * فَأَتْبَعَ سَبَبًا**﴾[2].

أما المشاهد الثلاثة الأخرى فتحدثت عن رحلات ذي القرنين الثلاث إلى مغرب الشمس ومشرقها وبين السدين[3]، وهذه الرحلات شملت أمما مختلفة "فنجد منها الأمة القوية المتقدمة الظالمة الكافرة الجائرة. ونجد فيها الأمة المتخلفة أو المنسية الفقيرة ماديا الجاهلة فكريا. ونجد فيها الأمة القوية مالياً، ولكنها متخلفة وعاجزة حضاريا، ومقهورة ومغلوبة عسكريا، ومبتزة اقتصاديا من غيرها"[4].

ويلاحظ أن العلاقة بين مشاهد القصة الواحدة وثيقة، فكل مشهد يعد بمثابة التمهيد للمشهد الذي يليه، والمشهد الثاني نتيجة للمشهد السابق: وبذلك البناء الجمالي المحكم ارتبطت المشاهد بعضها ببعض داخل القصة الواحدة، ومن ثم كانت مظهرا جمالياً من مظاهر الارتباط بين قصص السورة الأربع.

إن السرد في قصص سورة الكهف الأربع قام على مبدأ عرض مشاهد منتقاة بعناية، تسهم في تحقيق المقاصد العقدية التربوية للقصص، أما الأحداث التي تجاوزتها تلك

[1] نظرات تحليلية في القصة القرآنية. محمد المجذوب: ١٩١-١٩٢.

[2] سورة الكهف، الآيتان: ٨٤-٨٥.

[3] ينظر: سورة الكهف: ٨٦-٩٨.

[4] قطوف تربوية حول القصص القرآني. د. حمدي شعيب: ١١٩.

القصص، فليست مهمة، ووجودها لا يخدم مقاصد تلك القصص، فالقصص القرآني ليس من أهدافه التأريخ للأقوام ومتابعة الأخبار، والحديث عن مصائر البشر، ولكن منهجه يقوم على مبدأ انتقاء الأحداث التي تحقق أهدافه العظيمة.

٢- رسم الشخصيات:

تحدثت قصص سورة الكهف عن أشخاص عاشوا في مراحل زمنية سابقة، ومن ثم رحلوا وانقطعوا عن الحياة، وفي هذه القصص الأربع بعث لآثارهم وأخبارهم التي مضت، واستحضار للعبر المستفادة من تجاربهم الثرية بالمواعظ والحكم.

وتعنى القصة القرآنية بالأشخاص أكثر من عنايتها بالعناصر الأخرى، ولها طريقتها الخاصة في التعامل معهم، فهم "- أياً كانوا- ليسوا مقصودين لذاتهم من حيث هم أشخاص تاريخيون يراد إبراز معالمهم، وكشف أحوالهم، والتمجيد أو التنديد بأعمالهم. وإنما يعرض القرآن ما يعرض من شخصيات كنماذج بشرية في مجال الحياة الخيرة أو الشريرة، وفي صراعها مع الخير والشر، وفي تجاربها أو تعاندها مع الأخيار والأشرار"[١].

ويتمثل منهج القصة في رسم الشخصيات في الاكتفاء بتقديم الأوصاف التي تبرز مقاصدها وتحقق غاياتها. وقد جاء رسم الشخصيات في قصص سورة الكهف في هذا السياق: إذ اكتفت القصص بإعطاء الأوصاف التي تسهم في تحقيق المقاصد الدينية، وتركت الجوانب الأخرى التي ليست لها وظائف حيوية في رسم الشخصيات وتطوير الأحداث.

ففي قصة أصحاب الكهف ليس المهم من هم أصحاب الكهف؟ وكم عددهم؟ وما اسم الكلب الذي كان معهم؟ إنما الأهمية تكمن في العبرة التي نخرج بها من خلال

[١] القصص القرآني في منطوقة ومفهومه. عبد الكريم الخطيب: ٤١١.

التأمل العميق لهذه القصة؛ لذلك لم تخبرنا القصة القرآنية عن هذه الأمور، بل جاء الأمر الصريح من الله تعالى لرسوله محمد- عليه الصلاة والسلام- بترك أمر الخلاف حولهم؛ لأنه لا فائدة من معرفة عددهم وأسمائهم[1]، قال تعالى: ﴿**سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا**﴾[2].

كما أن النص القرآني لم يشر إلى من هو صاحب الجنتين؟ ومن الرجل المؤمن الفقير؟ ومن العبد الصالح الذي صاحبه موسى- عليه السلام- ؟ أهو نبي من أنبياء الله أو رسول أو عالم؟ ومن هو الفتى الذي صاحب موسى- عليه السلام- في بداية رحلته؟ ومن ذو القرنين؟

فقصص سورة الكهف لم تهتم بالإجابة عن كثير من هذه الأسئلة التي قد يبحث بعض من يقرأ هذه القصص عن إجابة عنها: لأن القصة القرآنية لا تخوض في تفصيلات لا تثري الحدث، ولا تسهم في تحقيق غاياتها الدينية والتربوية، فهذه القصص لا تساق لمجرد التسلية وتزجيه الوقت، بل تكتفي بالأوصاف والمعلومات التي تسهم في تحقيق المقاصد والغايات. وقد قامت كتب التفسير بالإجابة عن كثير من هذه الأسئلة، فالفتى الذي صاحب موسى- عليه السلام- في بداية رحلته هو (يوشع بن نون)[3]. وقد غاب الفتى والحوت- أيضاً- عن مسرح الأحداث بعد أن أديا دورهما في القصة.

---

[1] ينظر: تفسير القرآن العظيم. الحافظ ابن كثير: ٧٨/٣.
[2] سورة الكهف. الآية: ٢٢.
[3] ينظر: تفسير القرآن العظيم. الحافظ ابن كثير: ٩٢/٣.

والعبد الصالح الذي صاحبه موسى- عليه السلام- في رحلته هو الخضر عليه السلام-[1]. وقد اكتفى النص القرآني بذكر بعض صفاته؛ إذ قال تعالى: ﴿**فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا**﴾[2]. فهو عبد من عباد الله تعالى آتاه الله تعالى رحمة، ووهبه علماً من لدنه.

وكذلك حفلت كتب التفسير بالحديث عن ذي القرنين، وظهر الاختلاف جلياً حول شخصيته، وتنوعت الأخبار عنه[3]. أما النص القرآني فلم يعرفنا بشخصية ذي القرنين، ولم يتحدث عن البيئة الزمنية والمكانية التي عاش فيها؛ فهذا ليس من منهج القرآن الكريم الذي يهتم بذكر الجزئيات والتفاصيل المتصلة بالموضوع، والتي تسهم في تحقيق مقاصده العقدية والتربوية.

إن هذا المنهج الفريد المتمثل في الاكتفاء بذكر الأوصاف المهمة، وإعطاء المعلومات التي تثري الحدث، وتكشف عن جوانب خفية في الأشخاص- يستحق أن يتوقف عنده، ويستثمره كتاب القصة المعاصرون، حتى تتخلص قصتنا المعاصرة مما لحق بها من الترهل: بسبب المبالغة في تقديم أوصاف ومعلومات وجزئيات عن الشخصيات القصصية، وأنها لو حذفت لما تأثر البناء الفني لتلك القصص.

٣ - خلو القصص الأربع من المرأة:

خلت قصص سورة الكهف الأربع من وجود شخصية المرأة: إذ لا توجد أي امرأة فيها: لأن طبيعة الموضوع لم تستدعها. وهذا الأمر يتفق مع منهج القصة القرآنية المتميز

[1] ينظر: الجامع لأحكام القرآن.. الإمام القرطبي: ١٦/١١.
[2] سورة الكهف، الآية: ٦٥.
[3] ينظر: البداية والنهاية. الحافظ ابن كثير: ١٠٣/٢-١٠٧. وينظر: ذو القرنين ذلك الملك الصالح الطواف من يكون؟. عبد الرحمن يوسف العبد: ٨١-١٠٩.

الذي يقتصر على الشخصيات التي تستدعيها طبيعة الموضوع والمواقف المختلفة؛ فوجود أي شخصية في القصة القرآنية لا بد أن يكون مسوغاً موضوعياً وفنياً. والمرأة "في القصة القرآنية ليست مقصودة لذاتها، بحيث تكون محورا تدور حولها أحداث القصة، أو تستجلب استجلابا لتؤدي دور التشويق والاستثارة ثم تمضي! وإنما هي في مكانها الحقيقي في الحدث- إن كان لها مكان- وإلا فلا يرى وجه، شأنها شأن أي شيء غريب عن الحادثة، من أشخاص وأشياء... وعلى هذا نستطيع أن نقرر أن وجود المرأة في بعض القصص القرآني إنما هو مما استدعاه الحدث القصصي الذي كان للمرأة مكان حقيقي فيه، غير منظور إليها نظراً خاصا، كلون من الألوان المشعة أو المضيئة في القصة!"[1]. أما في كثير من القصص البشرية فنجد حشد مجموعة من الشخصيات التي ليس لوجودها أي قيمة فنية، ولو حذفت لما شعر القارئ بفقدها؛ لانعدام أثرها. وحضورها- غالباً- يكون لمجرد إضفاء مزيد من الإثارة المفتعلة التي تثقل كاهل القصة بالتفصيلات المملة البعيدة عن الموضوع الرئيس للقصة.

ولا يعني خلو قصص سورة الكهف الأربع من عنصر المرأة- بأي حال من الأحوال- التقليل من أهمية المرأة، أو تهميش دورها، ولكن الموضوع وسير الأحداث لم يتطلبا وجودها: لذا خلت القصص الأربع منها. أما في كثير من قصص القرآن الكريم الأخرى فكانت حاضرة، ومشاركة في الأحداث، وسأذكر هنا- على سبيل المثال لا الحصر- بعض أسماء النساء اللواتي كان لهن حضور في القصص القرآني الكريم، مثل: (مريم بنت عمران التي سميت سورة من القرآن الكريم باسمها، وبلقيس ملكة سبأ، وامرأة فرعون، وامرأة العزيز، وامرأة نوح، وامرأة لوط، وابنتا شعيب، وأخت موسى، وغيرهن)[2]. "وعلى هذا النحو نجد المرأة أو شخصية المرأة في القصص القرآني في كل مكان يمكن أن تكون فيه، من أعلى مستوى تصل إليه إلى أسفل درك يمكن أن تتردى فيه: ولم يكن مكان

[1] القصص القرآني في منطوقة ومفهومه. عبد الكريم الخطيب: ١١٤.

[2] للتوسع، ينظر كتاب: المرأة في القصص القرآني. د. أحمد محمد الشرقاوي.

المرأة في القصص القرآني مستجلباً للإثارة والتشويق، وإنما كانت تأخذ دورها المنتظر منها في الحياة. . ."[1].

٤-رسم المكان والزمان:

إن منهج القصص القرآني في رسم بيئة القصة المكانية والزمانية يتمثل في الاقتصار على تقديم الأوصاف والجزئيات التي يكون لها أثرها في تحقيق المقاصد الدينية، فالمهم في القصة القرآنية العبرة المستفادة من سرد تلك الأحداث الواقعية. أما المكان الذي احتضن الشخصيات والزمان الذي حدثت فيه فأمر ثانوي: لأن منهج القصص القرآني في رسم المكان والزمان ليس منهجاً تاريخياً، "وإنما يتخذ من أحداث التاريخ ووقائعه مجالاً للعبرة ومبدأ للدعوة، فهو يخرج من الدائرة التاريخية المجردة إلى الدائرة التاريخية الموضوعية الفنية والوجدانية... وذلك لأن المنهج يأخذ من القصة ما يحقق الغرض الديني، دون اعتبار إلى تاريخ الحدث أو مكانه، فهو لا يؤرخ للأفراد والجماعات، ولا يسجل للأمم والشعوب"[2].

وقد سارت المعالجة الفنية لعنصري المكان والزمان في قصص سورة الكهف الأربع وفق ذلك المنهج القرآني المتميز الذي يتجاوز الجزئيات، والاسترسال في رسم المكان والزمان، ويهتم بتصوير المواقف والأحداث بصورة تحقق المقاصد والغايات. ففي قصة أصحاب الكهف والرقيم لم تحدد القصة القرآنية مكان ذلك الكهف العجيب، أو الزمان الذي عاش فيه أولئك الفتية، أما العلماء والمفسرون فقد اختلفوا في تحديد مكانه[3]؛ لأن المهم في الأمر أخذ العبرة من حالهم، وليس الإخبار عن المكان والزمان الذين عاشوا فيهما. ولكن عندما تطلب الأمر تحديد مدة مكوثهم في الكهف، ذكر النص القرآني تلك

[1] دراسات نصية أدبية في القصة القرآنية. د. سليمان الطراونة: ٢٢٤.

[2] الوحدة الفنية في القصة القرآنية. د . محمد الدالي: ١٩.

[3] ينظر: البداية والنهاية. الحافظ ابن كثير: ١١٥/٢. وينظر: أصحاب الكهف. محيي الدين عبد الحميد: ١٨-٢٠.

المدة الطويلة: إبرازا لقدرة الله تعالى، فمدة نوم الفتية الطويلة في الكهف، ثم بعثهم مرة أخرى، من معجزات الله تعالى، فتعيين المدة أضفى على الحدث مزيداً من الأهمية، وأظهر معجزة الخالق- عز وجل-، قال تعالى: ﴿**وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا**﴾[1]. إن القصة القرآنية "لا يعنيها من ذكر الزمان تحديد تاريخ الحادثة، ولا مدتها، إلا إذا كان في تعيينها أبعاد لقيمة الحادثة نفسها ، مثل المدة التي نامها أهل الكهف"[2].

وفي قصة صاحب الجنتين لم تشر القصة- أيضاً- إلى مكان الجنتين، أو الزمان الذي عاش فيه الرجلان: الغني والفقير.

وفي قصة موسى- عليه السلام- مع العبد الصالح- أيضاً- لا يصرح القرآن الكريم باسم المكان الذي وقعت فيه الأحداث، ويكتفي بالإشارة إليه بأنه (مجمع البحرين)، ولا يحدد الفترة الزمنية أو العصر الذي كانت فيه تلك الرحلة العجيبة.

وفي قصة ذي القرنين- أيضاً- لا تذكر القصة شيئاً عن المكان أو الزمان الذي عاش فيه ذو القرنين، فأين مشرق الشمس ومغربها؟ وأين موقع السد الذي بناه؟ وفي أي عصر عاش ذو القرنين؟ وكم مدة مكوثه في تلك الرحلات؟ وغيرها من الأسئلة التي قد تثار حول المكان والزمان الذي عاش فيه. وهذه الأسئلة تتلاشى أمام العبر والدروس المستفادة من هذه القصة. فالقصة القرآنية، وهي النموذج الأعلى والمثال الفريد المعجز للقصة، تصل إلى تحقيق غاياتها العقدية والدنيوية دون الالتفات إلى الجزئيات التي لا تخدم الأفكار، وتجسد المعاني العظيمة، بل ربما أسهم وجودها في صرف الفكر عن التدبر في تلك المقاصد.

[1] سورة الكهف، الآية: ٢٥.
[2] سيكولوجية القصة في القرآن. د. التهامي نقرة: ٩٧.

إن الاقتصار في رسم البيئة المكانية والزمانية على الجزئيات والمعلومات والأوصاف التي تخدم الأفكار وتسهم في تحقيق المقاصد- سمة من السمات البارزة في قصص سورة الكهف الأربع، وفي قصص القرآن الكريم بصورة عامة، فالقرآن الكريم يتنزه أن يكون مجرد كتاب يؤرخ لحياة الأمم والشعوب، أو قصة تساق لتزجية الوقت.

إن عناية القصص القرآني بإبراز الأحداث ذات الصلة بموضوع القصة، دون الالتفات إلى الجزئيات التي يشير إليها واقع الحال، وتدل عليها دلالات ما بعدها وما قبلها- عنصر من عناصر القوة في القصص القرآني الكريم[(1)]؛ لذا اشتركت قصص سورة الكهف الأربع في إبراز المقاصد مجردة من المكان والزمان، وعمدت إلى إغراق القارئ في موضوعها دون الالتفات إلى المحيط الخارجي والعوامل الجانبية.

يضاف إلى ذلك أن الزمن في القصص الأربع سار سيراً تصاعدياً، مواكباً حركة الأحداث وتطورها، واتسم بسرعة الإيقاع، وفق تدرج زمني واضح من خلال المشاهد القصيرة المتتابعة التي تفصل بينها فترات زمنية متروكة لا تخدم المقاصد التي ترمي إلى تحقيقها تلك القصص.

٥-أحداثها من الخوارق المعجزة:

من السمات المشتركة في قصص سورة الكهف الأربع أن أحداثها من الخوارق المعجزة التي يعجز الإنسان عن تصورها في عالم الواقع، إلا أن يكون له دين يصله بأسباب السماء، فيضيف هذه الأحداث إلى قدرة الإله القادر رب العالمين"[2].

[1] ينظر: القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور. عبد الكريم الخطيب: ٥٦.

[2] القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور. عبد الكريم الخطيب: ٥٨.

إن هذه الخوارق والمعجزات تعمل على إحداث زلزلة في مسار الأحداث، وتجعلها توقف تدفقها، أو تأخذ مساراً مخالفاً. وتحدث صدمة قوية في الإنسان العاجز عن تصورها وفك رموزها، وتعمل على ربطه بالخالق تعالى، وتقوي إيمانه بقدرة العلي القدير، فيعلم أنها من تدبير القوي العزيز، وبذلك تسهم هذه المعجزات في تقوية الإيمان في النفوس، وورود مثل هذه الأحداث "في القصة القرآنية موافق لطبيعتها، فالذي يقص علينا هو أحكم الحاكمين، وهو القادر على كل شيء، ووقوع تلك الأحداث أمر حتمي في سياق العلاقة بين النبي وقومه، أو بين الشخصية والمعجزة التي جرت على يدها"[1].

ففي القصة الأولى من قصص سورة الكهف تتجلى معجزة الخالق في بقاء الفتية نياماً أكثر من ثلاثمائة عام، وبعثهم بعد هذه المدة الزمنية الطويلة دون أن يتغيروا ، بعد أن هيأ لهم المولى- عز وجل- ذلك الكهف العجيب؛ بدليل أنهم لم يستنكروا صورهم بعد بعثهم من نومهم، فظنوا أنهم مكثوا يوماً أو بعض يوم[2].

وتتجلى قدرة الله تعالى- أيضاً- في قصة صاحب الجنتين الذي كفر بأنعم الله تعالى، وظن أن النعم التي يعيش فيها لا يمكن أن تزول، قال تعالى: ﴿**وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا**﴾[3]. ولكن إرادة الله تعالى وقدرته وحكمته كانت له بالمرصاد، "ويجيء يوم فإذا صبحه ينكشف عن حدث مروع، تهتز له آفاق الجهة التي يعيش فيها هذان الرجلان، لقد أضحت الجنة أثراً بعد عين، فلقد طاف عليها طائف من ربك وهم نائمون، فأصبحت كالصريم"[4]. قال تعالى: ﴿ **وَأُحِيطَ**

[1] خصائص القصة الإسلامية. د . مأمون فريز جرار: ٨١.

[2] ينظر: الجامع لأحكام القرآن. القرطبي: ٣٧٤/١٠.

[3] سورة الكهف، الآية: ٣٥.

[4] القصص القرآني في منطوقة ومفهومه. عيد الكريم الخطيب: ١٤٧ .

بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾[1].

وفي قصة موسى- عليه السلام- مع العبد الصالح تتجلى قدرة الله تعالى من خلال سير الأحداث وفق اتجاه مخالف لما اعتاده الناس، فكان العلم الذي منحه الله تعالى العبد الصالح معجزة من المعجزات الخارقة للعادة، ففي رحلة موسى- عليه السلام- مع العبد الصالح نجد مجموعة من الأحداث الخارقة للعادة صدرت عن العبد الصالح، وتمثلت في خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار، "فلا نتمالك أن نسأل عن وجه الحكمة في علم الرجل! ولكننا لا نجد في طاقة العقل التفسير المقنع؛ لأن العقل لا يحسن إصدار الحكم إلى بعد الإلمام بظروف القضية وبواعثها. فلما جاء تفسير الخضر لتصرفاته هذه أيقنا بما وراءها من عدالة، وتعلمنا من ذلك ألا نعجل بإصدار الأحكام على أي شيء نراه قبل الإحاطة بملابساته جميعاً"[2].

وفي قصة ذي القرنين تظهر الأحداث المعجزة من خلال بلوغه أقصى مكان في جهة مغرب الشمس ومشرقها، وبنائه ذلك السد العظيم، والانتصارات المتوالية التي حققها، من خلال اعتماده الأساليب الصحيحة التي منحها الله تعالى له؛ "لذلك كانت فتوح ذي القرنين بدعاً في الفتوح؛ لأن غرضها إقامة نموذج للحكم رباني، لا يعدو تحقيق العدل، ونشر الهدى، وحماية الضعيف، ورد الناس إلى ربهم..."[3](1).

لقد تجلت في قصص سورة الكهف الأربع القدرة الإلهية المعجزة في تحريك الأحداث، وبذلك بدت تلك القصص في سياقها سلسلة متصلة متحدة من الأحداث المعجزة التي تثير الانفعالات والمشاعر، وتوصل الأرض بالسماء، وتقوي الإيمان في النفوس، فهذه الأحداث على الرغم من سيرها بخلاف المعتاد والمألوف بالنسبة إلى علمنا البشري القاصر المحدود، إلا أننا نؤمن إيماناً راسخاً بأنها قصص واقعية حدثت في مراحل سابقة

---

[1] سورة الكهف، الآية: ٤٢ .

[2] نظرات تحليلية في القصة القرآنية. محمد المجذوب: ١٨٧.

[3] المرجع السابق: ٢٠٢.

لأشخاص ذهبوا وبقيت العبر والدروس المستفادة من قصصهم شواهد على قدرة الخالق- عز وجل-، وفي الوقت ذاته تعمل على تقوية الإيمان بالله تعالى.

٦-عنصر المفاجأة:

إن الأحدث التي تسير وفق ما هو معتاد ومتوقع تفقد صلاحيتها لأن تكون موضوعاً لقصة ناجحة، فلابد من حدوث شيء أو أشياء تخرج عن النمطية، وتضفي على الأحداث تشويقا وإثارة، تذهل القارئ وتشده إلى متابعة الأحداث.

وجاءت قصص سورة الكهف الأربع حافلة بالمفاجآت، وبطرق متنوعة، ففي قصة أصحاب الكهف والرقيم سلسلة من المفاجآت التي تثير الانفعال، وتقوي صلة العبد بخالقه. وقد تمثلت تلك المفاجآت في بعث الفتية بعد نومهم تلك المدة الزمنية الطويلة، وسؤالهم عن مدة مكوثهم، وقيامهم ببعث أحدهم إلى المدينة لشراء الطعام، وكانت المفاجأة الثانية خاصة بأهل تلك المدينة عندما شاهدوا أحد أولئك الفتية والنقود التي يحملها، واطلاعهم- بعد ذلك- على بقية الفتية والكهف الذي مكثوا فيه.

وفي قصة صاحب الجنتين جاءت المفاجأة في نهاية القصة، عندما قدر الله تعالى إبادة جنتي الرجل الغني المتكبر، فأصبحت جنتاه أثراً بعد عين. ويظهر الإعجاز القرآني في تصوير هول الصدمة والمفاجأة والندم والأسف والحزن والذهول الذي أصابه بعد مشاهدته ما حل بجنتيه، وذلك من خلال قوله تعالى:﴿**فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ**﴾[1]؛ فهذه الجملة القصيرة عبرت بجلاء عن كل تلك المعاني التي جاشت بها نفسه المضطربة النادمة؛ فمن هول المفاجأة أصبح صاحب الجنتين الكافر بأنعم الله تعالى "يضرب إحدى يديه على الأخرى ندماً: لأن هذا يصدر عن النادم. وقيل: يقلب ملكه فلا

[1]ينظر: سورة الكهف: ٤٢.

يرى فيه عوض ما أنفق..."[١]، وكانت المفاجأة في قصة صاحب الجنتين قد توقعها الرجل المؤمن، بعد أن رأى من غرور صاحب الجنتين وكفره بأنعم الله تعالى، وهي "موحى بها من الحوار. فلا يصح أن تقع المفاجأة إذن إلا إذا انتهت الأحداث؛ لتكون مصداقاً لتوقع صاحبه المؤمن. فالمفاجأة هنا- وإن كانت متوقعة من صاحبه- مكتومة عن البطلين، وعن الذين يتلقون القصة"[٢]. قال تعالى: ﴿**فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا * أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا**﴾[٣].

أما في قصة موسى- عليه السلام- مع العبد الصالح فتمثلت المفاجآت في خرق العبد الصالح السفينة، وقتله الغلام، وإقامته الجدار، فلم يستطع موسى- عليه السلام- أن يصبر على هذه الأفعال التي يخالف ظاهرها ما عند موسى -عليه السلام- من العلم والمعرفة، وقد نبهه العبد الصالح في البداية إلى ذلك الأمر[٤]، قال تعالى: ﴿**قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا**﴾[٥].و في النهاية كشف له العبد الصالح تلك الأسرار التي جعلت موسى -عليه السلام- ومن عاش معه تلك المواقف، ومن ثم من يقرأ القصة- يقفون أمام تلك التصرفات عاجزين عن فهم تفسيرها، حتى يقوم العبد الصالح في نهاية القصة بالكشف لموسى- عليه السلام- عن الأسرار التي دفعته إلى القيام بتلك الأفعال العجيبة في ظاهرها، والتي فعلها بأمر الله تعالى[٦]. وبعد أن كشف العبد الصالح عن هذه الأسرار، وتحققت المقاصد والعبر من

---

[١] الجامع لأحكام القرآن. القرطبي: ١٠/٤٠٩-٤١٠.

[٢] البيان القصصي في القرآن الكريم. د. إبراهيم عوضين: ١٣٨.

[٣] سورة الكهف، الآيتان: ٤٠-٤١.

[٤] ينظر: نظرات في أحسن القصص. د . محمد السيد الوكيل: ٢/١٢٣.

[٥] ينظر: سورة الكهف، الآية: ٨٢.

[٦] سورة الكهف، الآيتان: ٦٧-٦٨.

وراء تلك الرحلة العجيبة، غاب عن مسرح الأحداث دون أن نعرف من يكون، أو المصير الذي آل إليه، وهنا يكمن عنصر التشويق في القصة، من خلال سرد "المفاجآت من رجل غامض ليراها نبي مندهش؛ لإبراز حكمة إلهية عليا"[1].

وفي قصة ذي القرنين تكمن المفاجآت في أن الأسباب التي منّ الله تعالى بها على ذي القرنين، والتي مكنته من الوصول إلى غاياته "لم تكن أسباباً عادية مألوفة للناس في عصره، فالإنجازات التي قام بها والأعمال العظيمة التي نفذها تؤكد ذلك، فقد كانت أسباباً خارقة لنواميس البشر وقدراتهم في ذلك العصر، فهي من قبيل الكرامات، أكرمه الله تعالى بها، ولهذا جاء الإخبار عنها بصيغة التعظيم، تعظيم المنعم، وتعظيم النعمة[2]، قال تعالى: ﴿**إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا * فَأَتْبَعَ سَبَبًا**﴾[3]. **فكانت** رحلاته الثلاث سلسلة من المفاجآت التي تبرز قدرة الله تعالى، وتقوي الإيمان في النفوس.

لقد كان وجود عنصر المفاجأة سمة مشتركة في منهج قصص سورة الكهف الأربع، والملاحظ أن عرض المفاجأة وموقعها يختلفان من قصة إلى أخرى، فلكل قصة خصوصيتها، وطريقتها الخاصة، ولكنها كلها تؤكد قدرة الخالق، وأن الإنسان- مهما بلغ من علم ومعرفة- يظل عاجزاً عن كشف أسرار هذا الكون العجيب.

وبعد، فإنه على الرغم من اشتراك قصص سورة الكهف الأربع في جوانب كثيرة متصلة بالمنهج تحدثت عن أبرزها في هذا المبحث، إلا أن كل قصة من هذه القصص كانت لها خصوصيتها. فقصة أصحاب الكهف والرقيم بدأت بتمهيد مجمل للقصة، ثم شرع الله تعالى بسرد القصة موجهاً حديثه إلى الرسول- عليه الصلاة والسلام-. واتسمت

[1] القصة في القرآن (مقاصد الدين وقيم الفن). محمد قطب: ٣٠٤.

[2] العواصم من الفتن في سورة الكهف. عبد الحميد محمود طهماز: ١٢٢.

[3] سورة الكهف، الآيتان: ٨٤-٨٥.

القصة- أيضاً- باعتمادها على الوصف والتصوير، ومثال ذلك وصف ذلك الكهف العجيب[1].

ويتمثل اختلاف قصة صاحب الجنتين عن بقية قصص السورة في أنها جاءت بصورة المثل، وهو "نوع من التعبير الأدبي، يبرز المضمون في صورة حسية، كما يقرب المعنى، ويكشف الحقائق، ويجمع المعنى الرائع في عبارة موجزة، تثبت في الذهن، وتدفع إلى الإقناع والتأسي، وإلى العظة والعبرة"[2]. وضرب الأمثال وسيلة من الوسائل القرآنية لتحقيق المقاصد الدينية والعقدية.

وقد قامت قصة موسى- عليه السلام- مع العبد الصالح على الحوار بين موسى- عليه السلام- والفتى في بداية القصة من جهة، وموسى والرجل الصالح من جهة أخرى، فالحوار في هذه القصة قام "بدور مهم في تحديد معالم الشخصية، وهو حوار منبثق من المواقف، يتنامى به، متلائماً مع السياق"[3].

وفي قصة ذي القرنيين نجد أن الأسباب التي منحها الله تعالى ذا القرنين أسباب تجري على مستوى العقل البشري، أما أسباب العبد الصالح في قصة موسى- عليه السلام- ففوق مستوى البشر[4].

ولم تؤثر الخصوصية التي انفردت بها كل قصة من قصص السورة الأربع بأي حال من الأحوال في جماليات الترابط في قصص السورة، بل إنها أضفت عليها مزيداً من المتعة

---

[1] ينظر: البيان القصصي في القرآن الكريم. د . إبراهيم عوضين. ١٢٤.

[2] القصة في القرآن (مقاصد الدين وقيم الفن). محمد قطب: ٢٦٣.

[3] المرجع السابق: ٣٠٤.

[4] ينظر: القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور. عبد الكريم الخطيب: ٩٢.

والتشويق من خلال تنوع الأساليب وتلونها، وجعلتها تحلق في أفق أكثر اتساعاً تتفق مع شمولية القرآن الكريم وتكامله.

الخاتمة:

وبعد هذه الجولة الماتعة في رحاب قصص سورة الكهف الأربع يتضح أن هذه القصص تشترك في جوانب كثيرة، فمن حيث الموضوع نجد أنها تحدثت عن أبرز الفتن التي يتعرض لها الإنسان في حياته، وهي: فتنة الدين، وفتنة المال، وفتنة العلم، وفتنة الحكم والسلطان. ومن حيث المقصد بينت سبل النجاة والخلاص من هذه الفتن، من خلال تصحيح العقيدة، وترسيخها في النفوس، والدعوة إلى ترك أمر الغيب لله تعالى. ومن حيث الجو النفسي المسيطر على قصص السورة تبرز بوضوح سمات الحركة والإيجابية والتفاؤل. ومن حيث المنهج الذي سلكته تلك القصص يتضح اشتراكها في عدة جوانب متصلة بالمنهج والمعالجة الفنية، منها: العرض، ورسم الشخصيات، وخلوها من شخصية المرأة، ورسم الزمان والمكان، وكون أحداثها من الخوارق المعجزة، وعنصر المفاجأة، وغيرها من الجوانب. وبذلك بدت هذه القصص الأربع نسيجاً واحداً مترابطاً جمالياً غاية في الإتقان والإحكام والتماسك، وبناء عضوياً واحداً، تجمعه وحدة الموضوع والمقصد والجو النفسي والمنهج، ويضاف إلى ذلك أن هذه القصص الأربع ترتبط ارتباطاً وثيقاً بسياق السورة برمتها، حيث بدئت السورة وختمت بالدعوة إلى تصحيح العقيدة وترسيخها في النفوس والدعوة إلى ترك أمر الغيب لله تعالى، فكان ذلك هو محور السورة وجوهرها ومبناها ومعناها الذي أكدته ببيان معجز.

إن هذه القصص الأربع نقلتنا إلى مناطق شعورية مختلفة من خلال تقديمها نماذج بشرية متنوعة، وكشفها عن سنن الله تعالى في الكون. وتجردت في عرضها عن الزمان والمكان، وخلت من إيراد التفاصيل والجزئيات الجانبية التي لا تخدم الموضوع الرئيس، فاتجهت إلى

إبراز حقيقة النفس البشرية في مواقف مختلفة، وعصور متباعدة، لأقوام ذهبوا وبقيت آثارهم شواهد على قدرة الله تعالى.

وقد بدت القصص الأربع مترابطة ترابطاً جمالياً محكماً متكاملاً، وهذا الترابط الجمالي يعد وسيلة ناجعة من الوسائل التي اعتمدتها القصة القرآنية في تحقيق مقاصدها، وتمكنت ببيانها المعجز من تحقيق ذلك الأثر القوي في القلوب والعقول على حد سواء، فقدمت صورة متكاملة في شريط واحد، يستحضره الإنسان المسلم الذي يستجيب لأمر المصطفى- عليه الصلاة والسلام- المتمثل في الحث على حفظها وقراءتها كل يوم جمعة. وما هذه الدراسة التي أقدمها سوى دعوة إلى التفكر والتأمل في قصص هذه السورة، والنظر إليها من هذه الزاوية، حتى نرتقي إلى المكانة التي ترضي الله تعالى عنا، وتسمو مشاعرنا من خلال معايشة ذلك الأسلوب القصصي القرآني المعجز في موضوعه وأسلوبه.

المصادر والمراجع

١- الأحاديث والآثار الواردة في فضائل سور القرآن الكريم: دراسة ونقد إبراهيم علي السيد عيسى.- ط١.- القاهرة: دار السلام، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

٢- أشراط الساعة. يوسف عبد الله الوابل.- ط٢٠.- المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي، ١٤٢٤هـ.

٣- أصحاب الكهف. محيي الدين عبد الحميد.- ط١.- جدة: طائر العلم للنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

٤- إيجاز البيان في سور القرآن. محمد علي الصابوني.- ط٢.- سوريا: مكتبة الغزالي، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٥- البداية والنهاية. الحافظ ابن كثير.- دار الفكر، (د- ت).

٦- البيان القصصي في القرآن الكريم. إبراهيم عوضين.- ط٢.- الرياض: دار الأصالة، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٧- تفسير القرآن العظيم. الحافظ ابن كثير.- دار الفكر، (د- ت).

٨- الجامع لأحكام القرآن. القرطبي.- الرياض: دار عالم الكتب، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

٩- خصائص القصة الإسلامية، مأمون فريز جرار.- ط١.- جدة: دار المنارة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٩٨م.

١٠- دراسات نصية أدبية في القصة القرآنية. سليمان الطراونة.- ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

١١- ذو القرنين ذلك الملك الصالح الطواف من يكون؟. عبد الرحمن يوسف العبد.- القاهرة: دار البشير، (د- ت).

١٢- ذو القرنين القائد الفاتح والحاكم الصالح (دراسة تحليلية مقارنة على ضوء القرآن والسنة والتاريخ). محمد خير رمضان يوسف.- ط٣.- دمشق: دار القلم، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

١٣- السرد القصصي في القرآن الكريم. ثروت أباظة.- القاهرة: دار النهضة مصر، ٠د-ت).

١٤- السيرة النبوية. أبو محمد عبد الملك بن هاشم المعافري: تحقيق الشيخ محمد علي القطب والشيخ محمد الدالي بلطه.- بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

١٥- سيكولوجية القصة في القرآن. التهامي نقرة.- الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٧٤م.

١٦- شرح صحيح مسلم للإمام النووي؛ راجعة الشيخ خليل الميس.- ط١.- بيروت: دار القلم ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

١٧- صحيح البخاري؛ تحقيق الشيخ عبد العزيز بن باز.- دار الفكر، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

١٨- العواصم من الفتن في سورة الكهف، عبد الحميد محمود طهماز.- ط١.- دمشق: دار القلم ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

١٩- في التذوق الجمالي لسورة الكهف: دراسة نقدية إبداعية. محمد علي أبو حمدة. ٠ ط١.- الأردن: دار عمار، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٢٠- في القصة الإسلامية المعاصرة: دراسة وتطبيق محمد حسن بريغش.- بيروت: مؤسسة الرسالة.- ط١.- عمان- الأردن: دار البشير، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

٢١- القصة في القرآن (مقاصد الدين وقيم الفن). محمد قطب.- القاهرة: دار قباء، ٢٠٠٢م.

٢٢- القصص القرآني في منطوقة ومفهومه. عبد الكريم الخطيب.- بيروت: دار المعرفة، (د-ت).

٢٣- القصص القرآني من العالم منظور وغير المنظور. عبد الكريم الخطيب.- ط١.- مؤسسة دار الأصالة، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٢٤- قطوف تربوية حول القصص القرآني. حمدي شعيب.- ط١.- طنطا: دار البشير، ٢٠٠٢م.

٢٥- لسان العرب. ابن منظور.- بيروت: دار صادر، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

٢٦- الكشاف. الزمخشري.- مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م.

٢٧- مبادئ في الأدب والدعوة. عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني.- ط٢.- دمشق: دار القلم، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٢٨- المدخل إلى الدراسات القرآنية (مبادئ تدبر القرآن والانتفاع به، وأضواء على وجوه الإعجاز والعلوم القرآنية، وتأملات في سورة الكهف). أبو الحسن علي الحسني الندوي.- ط١.- بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

٢٩- المرأة في القصص القرآني. أحمد محمد الشرقاوي.- ط١.- القاهرة: دار السلام، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

٣٠- المستدرك على الصحيحين. الإمام الحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري، وبذيله التخليص للحافظ الذهبي.- بيروت: دار الكتاب العربي، (د- ت).

٣١- منهج القصة في القرآن. محمد شديد.- ط١.- جدة: عكاظ للنشر، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٣٢- نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد. د. عبد الرحمن رأفت الباشا.- الرياض: مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، (١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).

٣٣- نظرات تحليلية في القصة القرآنية، محمد المجذوب.- ط٥.- الرياض: دار الشواف، (د- ت).

٣٤- نظرات في أحسن القصص. محمد السيد الوكيل.- دمشق: دار القلم.- ط١.- بيروت: الدار الشامية، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

٣٥- نظرات في قصص القرآن. محمد قطب عبد العال، (دعوة الحق، تصدرها رابطة العالم الإسلامي- مكة المكرمة، السنة الحادية عشرة، العدد٢٢١، صفر ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م).

٣٦- الوحـدة الفنيـة في القصـة القرآنيـة. محمـد الـدالي.- ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٣٧- الوحدة الموضوعية في سورة يوسف عليه السلام. حسن محمد باجودة.- ط٢.- جدة: تهامة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.